15me Année No. 718

Lundi — 3 — 3 — 1947

# الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧١٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٠ ربيع الثانى سنة ١٣٦٦ — ٣ مارس سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

## مسألة القضاء والقدر

للأستاذ عباس محمود العقاد

قد راعيت ياسيدى أن أقدم إليك مسألة واحدة حتى لا يشق على مجلة «الرسالة» ردك ... وهذه المسألة هى « القضاء والقدر » هل الإنسان مسيّر أم مخيّر ؟ ... وقد وجهت هذا السؤال من قبل لأستاذى فردّ علىّ رداً لم أر فيه مقنعاً ... فتضاربت الآراء بعقلى وإنى لأخشى على نفسى وعلى إيمانى ...

محمد علي طالب
بمسلتنا

مسألة القضاء والقدر هى مسألة الحيرة الإنسانية فى جميع نواحيها ، فهى بهذه المثابة مسألة قضائية نفسية علمية ، وليست بالمسألة الدينية وكفى .

وليس من الميسور أن تحل هذه المسألة من جميع وجوهها حلا يدفع كل اعتراض ، ويوافق كل رأى ، ويكشف النقاب عن العلاقة بين حرية الإنسان وقوى الكون الذى يعيش فيه . فان العلم بحدود حريته يتوقف على الإحاطة بهذه العلاقة من جميع أطرافها ، وليس ذلك بالمستطاع فى عصرنا هذا ، ولا بخياله يستطاع كل الاستطاعة فى وقت من الأوقات .

لكن المستطاع الذى لا شك فيه أن مسألة القضاء والقدر هى نفسها حل معقول أسهل من جميع الحلول التى تذهب إليها العقول ...

فبماذا يقول من ينكر القضاء والقدر كأنه شىء لا يوافق العقل ولا يساغ فى منطق التفكير ؟

أيقول بأن المخلوقات يجب أن تختلف وأن تتساوى مع ذلك الاختلاف فى كل قدر وقضاء ؟

ذلك حكم لا يسوغ فى عقل عاقل . لأن اختلاف التقدير لازم مع اختلاف الأقدار .

فاذا اختلفت أقدار المخلوقات وأوصافها فلا يخطر على العقل أن تكون بعد ذلك سواء فى الأعمال والتقديرات .

وإذا هى لم تختلف فكيف يريد المعترضون أن تكون ؟ وكيف يتوهمونها فى الخيال فضلا عن تقديرها فى عالم الفكر أو عالم العيان !

أيريدونه عالماً لا فرق فيه بين حى وحى ، ولا بين شىء وشىء ، ولا بين موجود وموجود ؟

إذن هم يريدونه عالماً لا أشياء فيه ولا أحياء فيه ولا موجودات فيه .

لأن الشىء لا يسمى شيئاً إلا إذا كان مخالفاً لشىء آخر فى جوهره أو صفاته . فاذا بطل الاختلاف بين الأشياء بطل قوام الأحياء والموجودات .

فهل يرى المعترضون أنهم هربوا من مسألة القضاء والقدر إلى مسألة يقبلها العقل وترتضيها النفس ويتصورها الخيال ؟

وأى الصورتين بعد هذا أقرب الى عقول المفكرين : عالم فيه اختلاف فى التقدير واختلاف فى الأقدار ؟ أو عالم لا توجد فيه الأشياء ولا توجد فيه الأحياء !

فمسألة القضاء والقدر على هذا أقرب الى الفهم من كل مسألة تخطر على بال مفكر فى هذا الموضوع .

وإذا كانت هى الوجه الذى يقبله العقل فالناحية المجهولة منه ينبغى أن تقاس على الناحية المعلومة. فيطمئن الفكر الى موافقتها له ومطابقتها لدواعى الايمان .

أما هذه الناحية المجهولة فهى ناحية التوفيق بين العدل الالهى واختلاف الجزاء على الأعمال .

فاذا وجب أن تختلف الأشياء ويختلف الأحياء ويختلف الجزاء ، فقد وجب أن يكون الجزاء غير مناقض للعقل فى نهاية المطاف ... ونهاية المطاف هذه هى التى يجهلها الانسان ، ويقيسها على ما يعلم فتسرى اليه الطمأنينة فى هذا القياس الصحيح .

***

ويتحدث الأديب صاحب الخطاب عن صديق له يسخر من تبلبل خاطره فى هذه المسألة فيقول : « انه أبرز لى آراء فى هذه المسألة وقال إنها آراء أهل السنة وأخرى قال إنها آراء المعتزلة » ... ولا يدرى أيها أحق بالاتباع .

ولا فائدة من الإطالة فى تفصيل هذه الآراء أو تلك الآراء .

ولكن كاتب الخطاب خليق أن يوقن أن آراء المعتزلة تؤدى الى تبلبل فى الخواطر يعود على صاحبه بسخرية أمر وأنكى . لأنهم يحلون المشكلة بمشكلات ويخرجون من تيه الى أتيه . ويقولون إن الانسان ينبغى أن يكون حراً لأن الله يحاسبه ، وإن الله لا يحاسبه إلا لأنه حر فى عمله واختياره .

فهم لا يقررون أن الإنسان حر فى عمله واختياره بدليل من الواقع ، بل بفرض من الفروض . فمن أين لهم أن حساب الله لا يوافق حالة التقدير ، وأنه لابد أن يناقض العدل إذا وجب الايمان بالتقدير ؟ ولماذا يمنعون على الله حساباً يتقابل فيه العدل والرحمة وصدق الجزاء والعقاب ؟ واذا وجب التسليم بأن الاختلاف فى العالم المشهود هو الحالة التى يتحقق عليها الوجود ، فلماذا يجزمون بأن هذه الحالة الواجبة ستناقض مايجب فى مسألة العدل والتوفيق بين العمل والمصير ؟

لو كان المعتزلة ينكرون وجود الله لجاز أن يبطلوا الحكمة فى الخلق كله وأن يبطلوا العدل والرحمة فيما هو ظاهر لنا وما هو محجوب عنا ، ولكنهم يؤمنون بالله ويؤمنون بوجوب الاختلاف بين الأشياء والأحياء . فلماذا تضيق قدرة الله عندهم عما يوافق الحكمة فيما يجهلون ؟

وقصارى القول أن الحل الوحيد المستطاع لعقدة القضاء والقدر هو المقابلة بينها وبين العقد التى تنتهى اليها اذا أنكرنا القضاء والقدر ... وأن العدل بمعنى المساواة الشاملة هو العدم بعينه ، لأن المساواة الشاملة تنفى قيام الأشياء والأحياء . فلا بد من معنى للعدل الإلهى غير هذا المعنى ، ولا تناقض اذن بين العدل والاختلاف فى تركيب الموجودات ، اذا وجب أن نفهمه فهما غير فهم المساواة فى الأقدار والمساواة فى التقدير .

ونحن نرى فى حياتنا العملية أن الناس يرثون أخلاقهم من آبائهم وأمهاتهم ، وينشأون فى عاداتهم على نشأة بيئتهم وبيئات أسلافهم ، ولكننا مع هذا لا نبطل التكليف والجزاء ولا نرى أنه عبث فى غير جدوى ، أو أن إلغاء القوانين والعقوبات مساو لبقائها وسريانها ... فهناك نصيب من الحرية يكفى لقيام التكليف فى المسائل الدنيوية ، وهناك نصيب من الحرية يكفى للتوفيق بين العمل والجزاء فى هذه الحياة القصيرة . فكيف بالحياة الأبدية التى تدبرها عناية الله ولا يحيط بها علم الانسان ؟

إن مسألة القضاء والقدر عقدة ، ولكنها عقدة لا ينكرها المنكر إلا وقع فيما هو أعقد منها ، ولاسيما المنكر الذى يؤمن بوجود الخالق القديم .

أما الذين يبطلون وجوده فانهم يعطلون العقل جملة فى هذه المسألة وفى غيرها من المسائل ، لأن تفسير العالم كله بالمصادفة العمياء لايدع مجالاً للاشكال ولا للسؤال ، وكل شىء جائز أو غير جائز . فقد استوى الجائز وغير الجائز على كل حال .

عباس محمود العقاد

# من حديث الجهاد

للاستاذ على الطنطاوى

ركبت الترام أمس وكان ممتلئاً بالناس، قد قعدوا على مقاعده، ووقفوا فى رحباته، وتعلقوا بسلاله، وكنت قاعداً فى الدرجة الأولى، فرأيت امرأة ملتفة بملاءة على يدها ولد يظهر عليها أنها مسكينة مغلّبة[1] تريد أن تدخل علينا، فيمنعها رجل بلدى واقف بالباب، ويقول لها: «دامش مكانك، دا بريمو، مكان الخواجات» فتستكين وتقف، فدعوتها وأقعدتها فى محلى، وهى حائرة لا تدرى فى خجلها وشكرها ماذا تقول لى، وسار الترام إلى المحطة التالية، فنزل ناس وصعد ناس، وكان فيمن صعد امرأة فرنجية ضخمة كأن خديها زقّان منفوخان، وكأن ثديها عِدلان على ظهر أتان ... وأقبلت تزحم الركاب بوقاحة عجيبة حتى دخلت علينا. فلما رأت المرأة قلبت شفتها، وقلصت وجهها حتى صار كوجه قرد عجوز ... وحمّلته كل ما استطاعت من أمارات الاشمئزاز والكبر، وضمت ثوبها ترفعاً أن يمس الملاءة وأشارت لها بيدها، أن: قومى ...

فنظرت المسكينة نظرة بلهاء، وابتسمت ولم تفهم ...

فقالت لها: «دا بريمو، انتَ بيروخ هناك، يلا يلا» ...

فقامت ... فلم أملك أن صرخت بها: «أقعدى» وقلت لهذه الوقحة: «ألا يكفى أنك زاحمتها على خبز بلدها، وأكلت خيره من دونها، وغنيت به وفقرت هى فيه، حتى أردت أن تقيميها لتقعدى مكانها ...»

وكانت ثورة مني عاصفة، فلم يجب أحد، ولكن شاباً «مهذباً» استاء منى، وأراد أن يعلن احتجاجه علىّ، فنهض قائماً وقال: «تفضلى يا مدام» وأعطاها مكانه ...

***

وذهبت أزور رجلا كبيراً، اعتزل الناس فى بيته بعد أن ولج أوسع أبهاء القصور، وحل فى أضخم كراسى المناصب، وتشقق الحديث معه حتى بلغ الكلام على الإخوان المسلمين فقال: «إنهم سيتسلمون الحكومة يوماً ما، ولكن الشكلة، أنهم يريدون العودة إلى الحكم الإسلامى، ومصر تمدنت وارتقت حتى صارت قطعة من أوربا، فكيف يمكن أن ترجع إلى أحكام الشرع؟»

وسمعت كثيرين من رجالات العرب، يتظرفون بدس الكلمات الفرنسية أو الانكليزية فى أحاديثهم العربية، من غير داع إليها، ولا فائدة منها، ويجدون ذلك رافعاً من أقدارهم عملياً من منازلهم.

ورأيت كثيرين من الشباب تجيئهم بالحكمة أو النظرية فتعزوها إلى صاحبها الشرقى المسلم، فيلوون وجوههم عنها، ولا يحفلونها، فإذا نسبتها إلى الفيلسوف الألمانى أو الأديب الانكليزى هشوا لها وبشوا، وتلقوها بالتجلة والاكبار.

وقرأت لكثيرين من المؤلفين والباحثين فصولا فى الدين أو اللغة، لا مرجع فيها إلا النقل، ولا تنقل إلا عن أعتنا وعلمائنا، فرأيتهم يدعون المنبع ويستقون من ذيول السواقى، ويتركون مراجعنا ويعزون إلى فلان وعلان من المستشرقين.

وليس فينا من لا يرى تقليد الأوربيين مدنية، واتباعهم رقياً، ومن لا يشعر فى قلبه بإجلالهم، ويتمنى أن يزور بلادهم، ويقف ألسنتهم، ويا ليت أنا إذ أحببناهم جمعنا حبهم، ولم يفرقنا غرامهم شيعاً وأحزاباً لهم، ويا ليت أنا ارتفعنا اليوم عما وصفه جبران خليل جبران، منذ ربع قرن، حين قال: «كان العلم يأتينا من الغرب صدقة وإحساناً، فنلتهم خبز الصدقة لأننا جياع فأحيانا ذلك الخبز. فلما حيينا به أماتنا، أحيانا لأنه أيقظ بعض مداركنا، ونبه عقولنا، وأماتنا لأنه فرق كلمتنا، وأذهب وحدتنا، وقطع روابطنا حتى أصبحت بلادنا مجموعة مستعمرات صغيرة، مختلفة الأذواق، متضاربة المشارب، كل مستعمرة منها تشد فى حبل إحدى الأمم الغربية، وترفع لواءها، وتترنم بمحاسنها وأمجادها. فالشاب الذى تناول لقمة من العلم فى مدرسة أمريكية قد تحول إلى مستعمد أمريكى، والشاب الذى ارتشف رشفة من العلم فى مدرسة يسوعية صار سفيراً فرنسياً، والشاب الذى لبس قميصاً من نسج مدرسة روسية أصبح ممثلا لروسيا».

***

(١) كذلك تقول نحن فى الشام، وهى صحيحة فصيحة، وفى مصر يقولون غلبانة

فإذا كنا — ولا نريد أن نماري في الحق، ولا نجادل في الواقع؛ إذا كنا نطوي قلوبنا على حبهم، ونضم جوانحنا على إكبارهم، ونرى أنفسنا صغاراً أمامهم، ونقلدهم في كل شيء ونمشي وراءهم، فماذا ينفعنا قولنا بألسنتنا إننا نكرههم ونعاديهم، ولا نقعد عن حقنا حتى ننالَه منهم برغمهم؟

لقد تعلمت في المدرسة الابتدائية حكاية لا أزال أذكرها إلى اليوم، هي أن رجلا كان يذبح العصافير في يوم بارد ويبكي، فقال عصفور منها لأخيه: ألا ترى إلى شفقة هذا الرجل ورقة قلبه؟ قال: ويحك لا تنظر إلى دموعه، ولكن انظر إلى ما تصنع يداه.

فهل تظنون أن الانكليز والفرنسيين أصغر أحلاماً من العصافير حتى يخدعوا بخطبكم وأقوالكم، ويعموا عما تصنع أيديكم؟

* * *

إن قضية فلسطين لم يجرمثلها ولا في أيام نيرون. ولو قرأناها في أخبار الأولين، لما صدقنا أنه يسوغ في إنسانية البشر، وعقل العقلاء، أن تقول لرجل: أخرج من دارك ليأوي إليها هذا المشرد المسكين، ونم أنت في الزقاق، أو اضطجع على المزبلة أو مت حيث شئت. هذا قضاء المدنية، وهذا حكم الديموقراطية.

وإن حوادث المغرب لم يقع مثلها ولا على عهد محاكم التفتيش أن يذبح عشرات الألوف من الأبرياء، لأنهم قالوا لمن دخل عليهم بلدهم، واغتصب أرضهم، وأكل خبزهم: اطعمنا معك من خيرات أرضنا، وارفق بنا في عدوانك علينا ...

فهل أحسسنا حقيقة ببغضاء الفرنسيين والانكليز؟ ألا يزال فينا من يثني على الانجليز في الصحف «تقريراً للحقيقة؟»، ويحتفل بدوهامل «تمجيداً للأدب؟»، ويودع المجندات الانكليزيات بالأسى «تقديراً للجمال؟»، ألا يزال فينا نوادٍ أقيمت لتثبيت الصداقة بيننا وبين هؤلاء الذين فعلوا هذه الأفاعيل في فلسطين والمغرب؟

فكيف يجتمع الحب والبغض في قلب واحد؟

* * *

إننا في أيام لها ما بعدها، ومصائب تنسينا أواخرها أوائلها فإذا كنا جادين حقيقة في إنقاذ فلسطين والمغرب، وفي العمل لمصر وللعربية وللاسلام، وكنا نريد أن نكون أمة تستحق أن تعيش، فيجب أن نتخلص أولا من استعمار الأوربيين أدمغتنا وألسنتنا وبيوتنا، وأن نحكم عقولنا فلا نقتبس منهم إلا ما نعتقد نفعه لنا، وأن نثق بأنفسنا، ونشعر بكرامتنا، وأن يفهم الحاكم منا أن لنا شرعاً أفضل من قوانينهم، فيجب أن نقتبس الأحكام من شرعنا، وأن يعلم الطالب أن لغتنا أكمل من لغاتهم، وأدبنا أسمى من آدابهم، وتاريخنا أمجد من تواريخهم، وأنها لم تخدم أمة العلم ما خدمته أمتنا، وأن يعتقد التاجر أن من الفرض عليه أن يروج البضاعة الوطنية، ويقاطع الأجنبية التي تزاحمها، وأن يؤمن الأديب بأن لهذه الأمة حقاً على قلمه، أن يدافع عنها، ويعيد إليها كرامتها، وثقتها بنفسها، ويصغّر الأجنبي في عينها، وأن يفهم أخنع[1] رجل فينا، أنه أعظم من أكبر خواجة من الخواجات، أو (مستر) من المسارة أو (هر) أو (سنيور) من السنانير والهررة، وأن يعلم أنه هو صاحب البلد، وهؤلاء بين غاصب أو لص أو (شحاد)، وله هو مقعد الدرجة الأولى في الترام، وله الغرفة الأولى في الفندق، والمائدة الأولى في المطعم، وأنه حيثما يقنع بالاقل ويتوارى ويبتعد، ويدع الأجنبي يملك الأرض، والعمارات، والمتاجر، يكون مجرماً كالجندي الذي ينهزم من المعركة.

وملاك الأمر كله، أن نعلم أننا نحن أساتذة الدنيا، ونحن سادتها. عزتنا بقرآننا ودينا، ولا يزال القرآن مبعث عزّ لنا، فلنعد إليه، ولنجعله إمامنا في حياتنا، ومعقد فخارنا، ولندعُ الدنيا إلى اتباعه لأنه لا فلاح لها إلا به.

إننا اليوم أضعف من الغربيين في القوى المادية، فلم يبق لنا إلا القوى الروحية: قوة الإيمان، وقوة الأخلاق، وقوة العفاف فلنحافظ عليها، ولنحارب الإلحاد والنفاق والفجور، لأنها عون للعدو علينا، وسلاح له يعمله فينا، وأن نجرد للعدو جنداً أخرجوا حبّه من قلوبهم، وضلالاته من رؤوسهم، وعاداته من بيوتهم، وأبغضوه بغضاً بلغ الشغاف، وخالط الدم، وسرى في الأعضاء، وظهر في الأفعال. جنداً، صدورهم حافلة بالإيمان،

(١) أخنع: أقل وأوضع.

عاصرة باليقين ، يثقون بماضيهم وأنهم يستمدون منه الظفر : من ألف معركة منصورة كانوا أبطالها ، ومن ألف سنة مباركة كانوا ملوك الأرض فيها ، ويثقون بحاضرهم ، وأن دماءهم ما أضاعت هذا الإرث ، ورؤوسهم ما فقدت هذه الذكريات ، ونفوسهم ما خسرت ذلك الشمم وتلك الفضائل ، ويثقون بمستقبلهم ، وأنهم سيملكون الأرض كرة أخرى ، وسيمودون ملوكها . جنداً : شباباً هم في الحكمة كالشيوخ ، لم تسترقهم الشهوات ، ولم تستبدهم الملذات ، ولم تلعب بهم الصبايا ، وشيوخاً هم في العزيمة كالشباب ، لم تفتهم المناصب ، ولم يطغهم الغنى ، ولم يسر في أعصابهم الخور ...

بهذا الجيش فلنجاهد ، جهاداً متصلا مستمراً ، لا ينى ولا يقف حتى يهدم قلاع العدو كلها ، ظاهرها ومضمرها ، وواضحها وخفيها .

إن الجهاد إن لم يبدأ من البيت والمدرسة والجريدة ، فلا يمكن أن ينتهي إلى الساحة الحمراء ، فإذا أردتم أن تبلغوا نهاية الطريق فامشوا من أوله ، وإن شئتم أن تصلوا إلى أعلى السلم فابدأوا من أسفله ، فان من يمشي من آخر الطريق يرجع إلى الوراء ، ومن ينزل من رأس السلم يصل إلى الأرض !

( القاهرة ) علي الطنطاوي

# النطق وكيف نشأ

## في النوع الانساني وفي الحيوانات العليا

للأستاذ نصيف المنقبادي المحامي

### ١ — هل النطق غريزي في الانسان ؟

يتعين علينا قبل الدخول في صميم الموضوع أن نشير الى نقطتين أو حقيقتين مقررتين ثابتتين :

تطور اللغات :

الحقيقة الأولى أن اللغات — وهي مظهر النطق أو صورته في مختلف الجماعات والبيئات الانسانية — لم توجد كما هي منذ ظهور الانسان على الأرض ولكنها تنشأ وتتطور شأن كل ما في الكون من جمادات ونباتات وحيوانات ( بما فيها الانسان ) طبقاً لنواميس النشوء والتطور . فمنذ ألفي سنة لم يكن اللغات الفرنسية والايطالية والاسبانية والبرتغالية مثلا أثر من الوجود . فكيف نشأت ووُجدت ؟ لما فتح الرومان باقي أقاليم إيطاليا ثم فرنسا وإسبانيا والبرتغال انتشرت لغتهم اللاتينية في تلك البلاد وكانوا هم الفاتحون الأقوياء كما أنهم كانوا أرقى من السكان الأصليين في المدنية والشرائع والعلوم والفنون ، لذلك لم تلبث اللاتينية حتى تغلبت على اللغات المحلية وحلت محلها جرياً على نواميس الانتخاب الطبيعي وما يترتب عليها من انهزام الضعيف وبقاء الأصلح . ولكنها ( أي اللاتينية ) تطورت بدورها في كل بلد منها تطوراً مختلفاً باختلاف كل من تلك البيئات الجديدة فتحولت شيئاً فشيئاً في فرنسا الى الفرنسية وفي إيطاليا الى الايطالية وفي إسبانيا الى الاسبانية وهكذا .

وكما أن الصور أو الحلقات المتوسطة بين الحيوانات والنباتات الحديثة وبين الأنواع القديمة التي تسلسلت منها موجودة وقد كُشف عن الكثير منها متحجراً في طبقات الأرض التي تكوّنت في مختلف الأعصر الجيولوجية القديمة ، كذلك الحلقات المتوسطة بين اللغات الحديثة وبين جداتها التي تسلسلت منها ، وأعني بها المؤلفات التي وضعت بتلك اللغات في الأعصر المتعاقبة ووصل الينا الكثير منها . فلغة الكتب والرسائل الفرنسية التي وضعت في القرن العاشر مثلا أو الثاني عشر قريبة من اللاتينية ومن مزيج من اللغات الأصلية المحلية . وكلما اقتربنا من عصرنا الحالي نجدها تقترب من اللغة الفرنسية الحديثة بحيث نستطيع أن نتتبع تطور هذه اللغة التدريجي وتحولها شيئاً فشيئاً من اللغة اللاتينية التي اشتقت منها مع امتزاجها بشيء من اللغات المحلية الأصلية . وهكذا الحال بالنسبة للاسبانية وباقي اللغات المتسلسلة من اللاتينية . بل واسائر اللغات الأخرى .

واللغات اللاتينية واليونانية القديمة ( التي اشتقت منها اليونانية الحديثة ) والجرمانية القديمة ( التي تسلسلت منها الألمانية الحديثة وبعض لغات أوروبا الوسطى والشمالية بل واللغة الانكليزية نفسها ) ، ومعظم لغات أوروبا الأصلية متسلسلة بدورها من لغة هندية قديمة وهي السنسكريتية . وجميع هذه اللغات الهندية الأوربية تكتب من اليسار الى اليمين خلافاً للغات السامية مثلا ( التي منها العربية ) فانها تكتب من اليمين الى اليسار حتى الأرقام لأنها من أصل هندي .

وما يقال عن اللغات الأوروبية يقال عن اللغات الشرقيـة وغيرها . فمنذ ثلاثة آلاف سنة تقريباً لم تكن اللغة العربية ولا العبرية الحـديثة ولا الحبشية ولا أخواتهـا الحالية قد وجدت . فكيف نشأت ؟ إنها نشأت وتطورت جرياً على نفس النواميس الطبيعية المتقدم بيانها بفعل العوامل الاجتماعيـــة والسياسية والتاريخية والطبيعية . فاللغة أو اللغات الأصلية القديمـة التى اصطلح على تسميتها بالسامية تطورت تطوراً مختلفاً باختلاف الأقاليم والبيئات التى انتشرت فيها الى أن تحولت الى العربية القديمة ، والعبرية القديمة والمصرية القديمـة ( التى اشتقت منهـا القبطية واستبدلت كتابة حروفها باليونانية ) ، والحبشية ، والحميرية ، والكلدانية أو البابلية ، والآشورية ، وغيرها . وقد استمرت عوامل التطور تعمل فى هذه اللغات الأخيرة الى أن تحولت شيئاً فشيئاً الى اللغات الحديثة المعروفة . وسأعود فى آخر هذا المقال الى تطور اللغة العربية فى مختلف البلاد الشرقية .

وكذلك الحال بالنسبة لمجموعة اللغات الطورانية القديمـة والحديثة ( التى منها اللغة التركية ولغات آسيا الوسطى ) وغيرها من اللغات الأخرى .

وكما أنه توجد فى أنواع النباتات والحيوانات القديمة والحديثة وفى الانسان أعضاء أثرية لا وظيفة لها إطلاقاً بدليل أنه يمكن استئصالها دون أن يصاب الفرد الذى تجرى له هذه العملية بأى ضرر أو نقص فى حيويته ، لأنهـا فى الواقع آثار أعضاء قديمة كانت مستعملة عند أجدادنا البعيدين ثم ضمرت شيئاً فشيئاً لعدم استعمالها عندما طرأت عليهم ظروف جديدة جعلتهم يستغنون عنها ، كذلك توجد فى بعض الألفاظ حروف أثرية لا تنطق ولـكنها تدل على الأصل الذى تسلسلت منه . مثل لفظة Corps الفرنسية أى جسم فان حرفى S و P لا ينطقان ولـكنهما كانا يلفظان فى الأصل اللاتينى Corpus . وكذلك لفظة Sang الفرنسية فان الـ g لا تلفظ هنا ولـكنها كانت تلفظ فى الأصل اللاتينى Sanguis ويجد القارىء الـكثير من هذه الأمثلة فى كتب علم نشوء اللغات وتطورها .

وخلاصة القول إن لغات البشر ليست ثابتة ولم توجد كما هى منـذ ظهور الانسان على الأرض ولـكنها فى تطور مستمر ينشأ الحديث منها من القديم ويتسلسل منه بطريق التطور التدريجى . وسأبين فيما يلى كيف نشأ النطق فى بادىء الأمر كما ينشأ الآن فى الأطفال وفى كثير من الطيور والحيوانات العليا .

### النطق غير غريزى فى الانسان :

والحقيقة الثانية التى يجب بيانها هى أن النطق ليس غريزياً فى البشر ولا هو مميز لهم عن سائر الحيوانات وليس « الانسان حيوان ناطق » كما كانوا يعتقدون فيما مضى قبل تقدم العلم .

فاذا فصلنا طفلا عن باقى البشر منذ ولادته وعهدنا فى تربيته الى شخص يتولى ذلك بعيداً عن الناس دون أن يفوه أمامه بأى لفظ ، فان هذا الطفل ينشأ عديم النطق بتاتاً إلا ما يصدر منه طبيعياً أو فسيولوجياً من أصوات الألم والانفعالات النفسية كالتأوهات والهمهمة والتأفف مثلما تفعل الحيوانات كما سنبينه فيما بعد . وقد يلجأ الى بعض إشارات للتعبير عن حاجاته كرفع يده الى فمه اذا أراد الأكل وما الى ذلك من الحركات الطبيعية الآلية . واذا سلمناه الى جماعة من الخرس فانه لا يلبث حتى يقلدهم فى إشاراتهم ليعبر بذلك عما يتطلبه من أمور الحياة فيكون فى ذلك كالأخرس دون أن يعرف الى النطق سبيلا .

ويؤيد هذه الحقيقة ، أى أن النطق اللغوى ليس غريزياً فى الانسان بل هو وليد البيئة ونتيجة التقليد السماعى — كما سيأتى بيانه — ما هو معروف للجميع من أن الطفل الذى ينشأ فى وسط قوم يتكلمون العربية مثلا يتكلم هذه اللغة دون غيرها حتى اذا كان آباؤه وأجداده من أبناء لغة أخرى ، وكذلك الحال اذا نشأ طفل عربى محض فى فرنسا بعيداً عن أهله منـذ ولادته فانه لا يتكلم إلا الفرنسية وهكذا . واذن فالنطق ليس بغريزى .

### النطق فى الحيوانات :

ومن جهـة أخرى لا يخفى أن لـكثير من الطيور وذوات الثدى وعلى الأخص القرود العليا ، وكذلك الحشرات الاجتماعية كالنمل لغات صوتية أو اصطلاحية بسيطة يتفاهم بها أفرادها إلى حـدّ ما . فان لبعض الحيوانات إشارات طبيعية تعبر بها عن انفعالاتها النفسية . فالـكلب مثلا يهز ذيله للترحيب بسيده وينفوه ببعض أصوات خاصة لا يبديها إلا فى مثل هذا الظرف ،

وهو يرخى ذيله إلى الأرض بين قدميه عند الخضوع والخشوع والخوف وهو والقطط وبعض الحيوانات الأخرى يكشون آذانهم عند الخوف إذا هددوا مثلا بالضرب .

وللنمل طريقة للتفاهم أشبه بلغة الإشارات التلغرافية . فاذا تقابل إثنان منها من نوع واحد نراها يتلامسان بزوائدهما الأمامية برهة ثم يسير كل منهما فى طريقه . وإذا اكتشف أحدها شيئا من الغذاء يسرع إلى استدعاء باقى أفراد جماعته ، ومعلوم أنه ليس للنمل وسائر الحشرات قصبة هوائية ولا أوتار صوتية نظراً لأنه ليس لها رئتان بل أنها تتنفس من مسام عديدة على سطح جسمها ينفذ منها الهواء إلى داخل الجسم ، فلا يمكن والحالة هذه أن تحدث أى صوت تتفاهم به ، ولاشك فى أنها تتحدث مع بعضها بالإشارات بالطريقة المتقدم بيانها (Langage Antennale ) :

وليست لغة الحيوانات قاصرة على الإشارات ولكن الكثير منها ينطق بأصوات للتعبير عما يجول فى نفسيتها البسيطة من الانفعالات والمقاصد المحدودة . والذى يرقب القطط مثلا فى المنازل يراها عند رؤية الطعام أو شم رائحته أو عند ماتجوع تبدى نغمة خاصة . ولها عند نداء صغارها صوت آخر لاتنطق به إلا فى هذه المناسبة فقط . وللأناث منها عند طلب الذكور صوت معروف أشبه بلفظة « داؤد »

والببغاء تنطق بكلام البشر بوضوح . وقد دلت المشاهدات والاختبارات على أنها تفهم فى أغلب الأحيان مجمل ما تتفوه به مما تكون قد حفظته من باب التقليد فى بادىء الأمر ثم تكرره وينتهى بها الأمر إلى أن لاتتفوه به بعد ذلك إلا فى المناسبات التى تؤدى إليها معانيه ، بل إنها كثيراً ما ترد على مايوجهه اليها الإنسان بالألفاظ المناسبة مما يدل على أنها تدرك إلى حد ما معانى ماتسمع ومعانى ماتقول . ويتم لها ذلك بالتقليد والتلقين والتمرين كما يحدث للأطفال على وجه التقريب ، ذلك لأن الأطفال يتعلمون بنفس هذه الطريقة : التقليد والتلقين والتمرين .

أما تغريد الطيور فأمره معروف ، وتمتاز به الذكور فى بعض الأنواع لتغرى الأناث حتى تكتسب إعجابها وتفوز بها . وتقيم أنواع أخرى منها اجتماعات على الأشجار أشبه بالحفلات الموسيقية يتبارى فيها الذكور فى النطق بنغمات شجية مطربة لتخطب ود الأناث فتنتخب هذه أجملهم صوتا ، كما أن أنواعا أخرى يتباهى ذكورها أمام الأناث بريشهم الزاهى ، ولهذا كان الذكور أجمل من الأناث لافى الطيور فقط ولكن فى كثير من الفصائل والمراتب الحيوانية الأخرى نتيجة ذلك الانتخاب الجنسى الطبيعى طبقاً لنظرية داروين « Sélection Sxcuelle » . على أن أنصار نظرية لامارك فى أسباب النشوء والتطور يضيفون إلى ذلك التفسير تفسيراً آخر يرجع إلى فعل العوامل الطبيعية الخارجية ( البيئة والعوامل الجوية ونظام الحياة والعادة والاستعمال أو عدم الاستعمال الخ ) والداخلية ( العوامل الفسيولوجية والتفاعلات الكيميائية التى تحدث داخل الجسم وعلى الأخص فعل الهرمونات التى تفرزها الغدد الصماء أى الغدد ذات الافراز الداخلى )

ومما يرجح نظرية لامارك على نظرية داروين فى تفسير تلك الظاهرة ونعنى بها تفوق الذكور على الأناث فى جمال الصوت وزهاء الريش وغزارة الشعر وجمال اللون هو مايحدث فى كثير من أنواع الأسماك حيث تكتسب الذكور فى موسم التلقيح ألوانا زاهية يسمونها فى علم الحيوان « حلة الزفاف » على حين أن تلك الأنواع لاتتزاوج ولاتلقح بعضها تلقيحا فعلياً مباشراً بل إن الأناث تفرز بويضاتها رأسا فى الماء ثم يأتى الذكر ويفرز مادته المنوية فى الماء أيضاً فيحدث التلقيح بين مايلتقى منهما بفعل الأمواج ، وكل هذا دون أن يتصل الذكور بالأناث . فلا شك فى أن الألوان الزاهية التى تطرأ على الذكور إنما هى نتيجة التفاعلات الكيميائية التى تحدثها فى الجسم الإفرازات الداخلية للخصيتين عند نضوجهما وهى التى تنبت مثلا الشوارب وشعر الذقن فى ذكور النوع الإنسانى وتؤثر فى صوتهم وتكسبهم صفات الرجولة ، كما أن إفرازات المبيضين تكسب الفتيات عند البلوغ نعومة المرأة وصفات الأنوثة فيها .

نعود إلى النطق فى الحيوانات فنقول إن للقرود عامة وعلى الأخص القرود العليا الشبيهة بالإنسان ( الغورلا ، والشانبازيه

والأورناجوتان ، والجيبون ) لغة أو لغات حقيقية وإن كانت على أبسط صور النطق ، مكونة من بعض أصوات أو مقاطع لا تبعد كثيراً عن لغات الأطفال فى أوائل العام الثانى من ولادتهم ولغات بعض القبائل المتوحشة .

وقد التقط بعضهم أصوات أفراد من القرود على اسطوانات فونوغرافية ثم أدارها أمام قرود من نفس النوع فى حدائق الحيوانات فكانت تصغى إليها باهتمام وتنبه وتبدى إشارات وحركات وتنطق بأصوات كأنها ترد عليها .

ومما يؤيد أيضاً أن النطق فى الإنسان والحيوانات ليس غريزيا وإنما هو مكتسب بالتقليد التجربة القديمة الآتية التى أجراها دين بارنجتون الإنكليزى Daines Barrington ودوّنها فى موسوعته الفلسفية التى ظهرت سنة ١٧٧٣ فى الجزء ٦٣ Philosophicat transactions وقد نقلناها من كتاب العالم البيولوجى الفرنسى فيلكس ليدانتك « العلم والشعور » Science et conscience طبع سنة ١٩١٦ صحيفة ١٨١ فقد أخذ بارنجتون عصافير صغيرة عقب ولادتها من نوع Linottes ونقلها إلى عش عصافير من نوع آخر يسمى Alonettes فاقتبست تغريد هذه العصافير بطريق التقليد وظلت تغرده طيلة حياتها كأنها طبعت عليه إلى حد أنه وضعها بعد ذلك مع أفراد من نوعها فلم تستطع أن تجاريهم فى تغريدهم الذى هو تغريد آبائها وأجدادها . ذلك لأن مخ العصافير المحدود يعجز عن وعى شىء جديد غير ما طبع فيه بطريق التقليد فى مستهل حياة هذه الكائنات البسيطة .

* * *

وخلاصة القول إن النطق ليس بغريزى فى البشر ولا هو قاصر عليهم وإنما هو ظاهرة فسيولوجية بسيكولوجية طرأت على بعض الحيوانات وتدرجت حتى وصلت إلى ماهى عليه فى النوع الانسانى . كما أن اللغات ظاهرة اجتماعية

فالانسان ليس بحيوان ناطق كما كانوا يعلموننا فيما مضى وهو لايختلف فى شىء من هذه الناحية عن باقى الحيوانات إلاقى الدرجة فقط .

وكل ماهناك هو أن الانسان حيوان ثرثار كثير النطق يحب أن يتكلم بلا انقطاع فى مجتمعاته الخاصة والعامة ، فى كل مكان وزمان ، يخلق المناسبات ليشبع شهوة الكلام ، وإذا تقابل اثنان على غير سابق معرفة فى القطار أو الترام مثلا تراهما يتحدثان ولو فى أتفه المواضيع كالجو والطقس . وإذا لم يجد الانسان من يتحدث معه يظل يتكلم مع نفسه ويكرر مثلا ما قاله أومايود أن يقوله لغيره ، وأحيانا يصحب هذا الحديث إشارات يبديها بيده على غير قصد تم عما يدور فى نفسه . وحتى فى نومه لايخلو من الكلام ، وكثيراً مايتفوه وهو على هذه الحالة بألفاظ واضحة أو غير واضحة يسمعها من يجواره . وكثرة الكلام مرض عند بعض الأشخاص يضايقون به غيرهم فيهرب الناس منهم .

وفى المقال التالى نتكلم عن نشوء النطق فى النوع الانسانى ثم نعقبه ببحث خاص عن تطور اللغة العربية[1] .

نصيف النقباوى
المحامى

(١) كتب هذا البحث قبل ظهور الكتاب القيم فى هذا الموضوع للدكتور على عبد الواحد وافى وسنعود إلى الحديث عن الكتاب .


مطبعة الرسالة :

تقدم قريباً

الذوق الفنى والطبع الأنيق

فى الطبعة الجديدة من كتاب :

تاريخ الأدب العربى

للأستاذ

أحمد حسن الزيات

صدر كتاب «زيارات بغداد»:

# الديارات وملحقاتها...

للأستاذ شكري محمود أحمد

الدير بيت يتعبد فيه الرهبان، ويكون بين الرياض والحدائق في ظواهر المدن والأمصار، أو في المواضع البعيدة عن الناس كالصحاري والمشرفات ورءوس الجبال.

وقد أخطأ ياقوت في الكلام على الدير والتعريف به في كتاب معجم البلدان بقوله: «ولا يكاد يكون بالمصر الأعظم، إنما في الصحاري ورءوس الجبال[1]». فإننا وجدنا أديرة كثيرة في ظواهر المدن، فقطربل مثلا وهي ملاصقة لبغداد فيها دير أشمونى، قال الشابشتي: «وعيده اليوم الثالث من تشرين الأول[2]، وهو من الأيام المظيمة ببغداد، يجتمع أهلها إليه كاجتماعهم إلى بعض أعيادهم، ولا يبقى أحد من أهل التطرب واللعب إلا خرج إليه ... ويباهون بما يعدون لقصفهم، ويعمرون شطه وأكنافه، وديره وحاناته...[3]»، وفي قطربل أيضاً دير آخر اسمه دير «الحرجون» ذكره الشابشتي في الكلام على دير أشمونى.

وقد أحصيت الأديرة التي كانت ملاصقة لبغداد أو قريبة منها فوجدتها تقرب من العشرين ديراً، وربما كانت أكثر من هذا؛ أما الأديرة التي حول الحيرة أو قريبة منها فأكثر من عشرين ديراً. وهذا ينقض زعم ياقوت بأن الدير لا يكون في المصر الأعظم، وإذا استقصينا الشواهد على نقضه ضاق بنا المجال.

وربما كان قول المقريزي في التعريف بالدير أقرب إلى الصواب، فقد قال: «الدير عند النصارى يختص بالنساك المقيمين به، والكنيسة مجمع عامتهم[4]»

أما قول الفيروز ابادي في الدير، والتعريف به فقلق جداً لا يدل على اطلاع في هذا الموضوع، فقد قال: «الدير خان النصارى وجمعه أديار[1]»، والخان يطلق على كل موضع يقام به في سفر أو غيره.

وقد جاء في الشعر العربي إشارات كثيرة إلى مواضع الأديرة التي تكون على سفوح الجبال أو في السهول والرياض. قال أبو الحسين بن أبي البغل الشاعر في دير الأعلى بالموصل، وقد اجتاز به يريد بلاد الشام[2]:

انظر إليّ بأعلى الدير مشترفاً ... لا يبلغ الطرف في أرجائه طرفا
كأنما غربت غر السحاب به ... فجاء مختلفاً يلقاك مؤتلفا
فلست تبصر إلا جدولا سرباً، ... أو جنة سدفاً، أو روضة أنفا

وربما كان هذا الدير «دير الأعلى» أكثر الأديرة ارتفاعاً. قال العمري: «وله درجة منقورة في الجبل تفضي إلى دجلة نحو المائة مرقاة[3]».

وقال ربيعة الضبي يصف إحدى الحسان:

لو أنها عرضت لأشمط راهب ... في رأس مشرفة الذرى متبتل
جاز ساعات النيام لربه ... حتى تخدر لحمه متشعمل
لصبا لبهجتها وحسن حديثها، ... ولهم من ناقوسه بتنزل[4]

ومما جاء في وصف موضع الدير الذي يكون بين الحدائق والرياض تحف به البساتين والحقول قول ابن المعتز في دير عبدون:

سق المطيرة ذات الظل والشجر ... ودير عبدون هطال من المطر
يا طالما نبهتني للصبوح به ... في ظلمة الليل والعصفور لم يطر
أصوات رهبان دير في صلاتهم ... سود الدارع، نعّارين في السحر[5]

وقال جحظة البرمكي في دير أشمونى بقطربل، وقد خرج إليه في عيد من أعياده، فلما وصل إلى الشط، مدّ عينيه لينظر موضعاً خالياً يصمد إليه، أو قوماً ظرافاً ينزل عليهم، فرأى فتياناً من أحسن الناس وجوهاً، وأنظفهم لباساً، وأظرفهم آلة، فصمد إليهم وصاح بغلامه: «يا غلام طنبوري ونبيذي»، فقالوا: أما

(١) ياقوت ج ٤ ص ١١٩. (٢) هو الإسم العربي لأكتوبر
(٣) الشابشتي ورقة ١٨.
(٤) المقفى ج ٣ ص ٤٠٩.

(١) القاموس المحيط مادة دير.
(٢) ياقوت ج ٤ ص ١٢٤.
(٣) مسالك الأبصار للعمري ص ٣٤٠، ٣٤١.
(٤) الأغاني طبعة بولاق ج ١٩ ص ٩٣.
(٥) ياقوت ج ٤ ص ١٥٥.

الطنبور فنعم ، وأما النبيذ فلا ، فجلست مع أحسن الناس أخلاقاً وأملحهم عشرة ، وأخذنا فى أمرنا ، ثم تناولت الطنبور وغنيت شعراً لى :

سـقياً لأثمونى ولذاتها والعيش فيها بين جناتها
سـقياً لأيام مضت لى بها ما بين شطيها وحاناتهـا
إذ اصطباحى فى بساتينها وإذ غبوقى فى دياراتها[1]

وعلى ذكر أثمونى وخبر جحظة البرمكى وشعره فيه ، يجمل بنا أن نذكر هذه القطعة البارعة لأبى الشبل البرجمى فيه ، وهو كصاحبه جحظة من « عصابة السوء » النواسية :

شهدت مواطن اللذات طراً وجبتُ بقاعها بحراً وبرا
فلم أر مثـل أثمونى محلاً ألذّ لحاضريه ولا أسرا
به جيشان من خيل وسفن أناخا فى ذراهُ واستقرا
كأنهما زحوف وغىً ولكن إلى اللذات قد كرا وفرا
سلاحهما القوائز والقنانى وأكواس تدور هلم جرا
وضربهما المثالث والمثـانى
إذا ما الضرب فى الحرب استحرا
وأسرها ظباء الدير « طوعاً »
إذا أسد الحروب أسرن قسرا[2]

فالدير إذن يكون على قمم الجبال وسفوحها ، وفى السهول بين الرياض والجنائن ملاصقاً للمدن أو بعيداً عنها فى الصحارى والمواضع المنقطعة عن الناس .

ويسمى الدير أحياناً بالعُمْر وجمعه أعمار قال صاحب تاج العروس فى العمر : « والعمر بالضم المسجد والبيعة والكنيسة ، سميت باسم المصدر لأنه يعمر فيها أى يعبد »[3] .

وقد فرق صاحب مراصد الاطلاع بين الدير والعمر ، فخص ما كان منهما قريباً من المدن والعمران بالعمر وما كان بعيداً عنهما بالدير ، وذلك فى قوله : « ... وما كان من مواضع المتعبدات التى فيها مساكن الرهبان بقرب العمران فإنه يسمى العمر »[4] .

وقد مرت هذه اللفظة فى شعر الفتاك والماجنين الذين كانوا يألفون الديارات ويتطارحون فيها . قال أبو نواس :

أذنك الناقوس فى الفجر وغرد الراهب فى العمر
وحنّ مخمور إلى خمـرة وجاءك الغيث على قـدر
يا حبذا الصحبة فى العمر وحبذا نيسان[1] من شهر
يا عاقد الزنار فى الخصر بحرمة الحـانة والقهر
هات التى تعرف وجدى بها واكن بما شئت عن الخمر
يا حبذا الجهر بأمر الصبا ما كنت من ربك فى ستر[2]

وقد أرجع حبيب زيات هذه اللفظة « العمر » إلى أصل أرامى بمعنى البيت والمنزل .

### ملحقات الدير :

تشتمل الأديرة على الكنيسة والهيكل ، والقلالى وبيوت المائدة ، ومستودعات الخمور ، والبساتين ومعاصر الكروم والحانات ودور الضيافة ، وحجر الرهبان ، وحجرة لرئيس الدير الذى يشرف على تنظيمه .

ويحف بالدير أحياناً بنايات مرتفعة يسكن كل واحدة منها راهب يقال لها القلالى أو القليات ، ومفردها على الأول قلية ، وعلى الثانى قلاية ، ومعناها الصومعة ، وقد تكون هذه القلالى فى داخل الدير خلف سوره .

وربما كانت هذه اللفظة « قلية » فى الأصل خلية ، وجمعها خلايا لأنها تشبه الخلايا فى شكلها وانتظامها حول الدير .

وقد أخبرنى بعض الأفاضل أن أصل هذه اللفظة يونانى ؛ وهى فى اللغة الأرمنية قليثه .

وقد مرت هذه اللفظة فى شعر العصبة النواسية فى مواضع كثيرة نكتفى بقول الثروانى فى دير بالحيرة عرف بقلاية القس . قال :

خليـلى من تيم وعجل هديتا
أضيفا بحث الكأس يوى إلى أمسى
وإن أنتما حيتمانى تحيـة
فلا تعدوا ريحان قلاية القس

(١) الشابشتى ورقة ١٨ ، ١٩ .
(٢) الشابشتى ورقة ١٨ ، ١٩ .
(٣) تاج العروس ج ٣ ص ٤٣ .
(٤) مراصد الاطلاع ج ١ ص ٤٢ .

(١) هو ابريل واسمه فى الشام والعراق نيسان .
(٢) ديوان أبى نواس طبعة آصاف ص ٢٧٦ .

وتنتشر حول الأديرة الحقول والبساتين المعمورة بمختلف الأثمار والأزهار ، وقد كانت الكروم أكثر هذه المزروعات عناية ، وذلك لأن الخمور النصرانية التي كانت تدخر في الأديرة لها شهرة ممتازة يقبل عليها الناس من كل جانب .

واشتهرت الزرفة — وهي قرية ملاصقة لبغداد ، فيها أديرة كثيرة — بالرمان الذي ضرب المثل بجودته حتى قيل الرمان الزرفي . وهذه القرية بين قطربل وبزوغى ، وتبعد عن بغداد ثلاثة فراسخ .

ومن الأثمار التي عني بزراعتها في الأديار الزيتون والنارنج والفستق والبندق واللوز . وكان الرهبان يعنون بزراعة مختلف الزهور كالريحان والآس والزعفران والنرجس والبنفسج يعملون منه التحايا والأكاليل .

وفي الغالب كان الرهبان يعنون بتربية البقر والأغنام للاستفادة من نتاجها لهم ولأضيافهم ، كما كانوا يعنون بتربية النحل للاستفادة من شمعه وعسله .

وكانت الأديرة مزينة بالقناديل والصلبان والدمى ، مصبوغة بالأدهان ، وقد كانت هذه الدمى منقوشة على الحيطان بمختلف الألوان ، ولا حاجة بنا إلى الاستشهاد بالشعر على ذلك لأنها مرت في مواضع كثيرة من الشعر العربي ، حتى أصبح ذكرها من ملتزمات القصيدة — في بعض الأحيان — كذكر الأطلال والدمن والربوع .

في الغالب المشهور أن هذه الأديرة كانت محاطة بالأسوار المرتفعة خوفاً من اللصوص وقطاع الطرق والفتاك . وربما كان لها باب حديد كدير الأسكون[1] بالجزيرة ، أو باب حجر كدير باطا ، ويسمى هذا الدير أيضاً « دير الحمار » وقد كان بين الموصل وتكريت قال ياقوت : « .. وله باب حجر يذكر النصارى أن هذا الباب يفتحه الواحد والاثنان ، فإن تجاوزوا السبعة لم يقدروا على فتحه .. »[2] .

ولكن هذه الأسوار المرتفعة ، والأبواب الحديدية القوية لم تكن لتحمي الرهبان والراهبات على كثرة عددهم من اللصوص والفتاك ، فقد أصيبوا كثيراً بالنهب والقتل وهتك الحرم .

وقصة اللصوص في دير العذارى خير شاهد على ذلك ، وخبر الحادث يرويه لنا الجاحظ في كتابه « المعلمين » وهذا الكتاب مفقود ، لكن الخبر ينقله عنه البكري والبلاذري وياقوت والشابشتي والعمري . قال : حدثني ابن فرج الثعلبي أن فتياناً من بني ملاص من ثعلبة ، أرادوا القطع على مال يمر بهم قرب دير العذارى ، فجاءهم من خبرهم أن السلطان قد علم بأمرهم ، وأن الخيل قد أقبلت تريدهم ، فاختفوا في دير العذارى . فلما حصلوا فيه ، سمعوا أصوات حوافر الخيل التي تطلبهم وهي راجعة من الطلب فأمنوا . فقال بعضهم لبعض : ما الذي يمنعكم أن تأخذوا القس وتشدوه وثاقاً ، ثم يخلو كل واحد منكم بواحدة من هذه الأبكار ، فإذا طلع الفجر تفرقنا في البلاد ؟ وكنا جماعة بعدد الأبكار اللواتي كن في حسابنا أبكاراً . ففعلنا ما أجمعنا عليه ، فوجدناهن كلهن ثيبات قد فرغ منهن القس .

وينظم أحد هؤلاء اللصوص قصتهم هذه مع الرواهب قائلا :

ودير العذارى فضوح لهن ... وعند اللصوص حديث عجيب
خلونا بعشرين ديرية ... ونيل الرواهب شيء غريب
إذا هن يرهزن رهز الظراف ... وباب المدينة فج رحيب
وللقس حزن يهيض الفؤاد ... ووجد يدل عليه النحيب[1]

واشتهرت قصة دير العذارى هذه حتى وردت في مواضع مختلفة في الشعر العربي .

وفي أحداث سنة ٤٤٩ هـ ( ١٠٥٧ ) يذكر صاحب مرآة الزمان : « فيها صعد عشرون رجلا من الترك إلى دير للنصارى بميافارقين ، فيه أربعمائة راهب ، فذبحوا منهم مائة وعشرين واشترى الباقون نفوسهم بست مكاكي فضة وذهب »[2] .

فالأسوار المرتفعة والأبواب الحديدية التي كانت تحصن الأديرة لم تحافظ على الرهبان والرواهب ، لذلك نجد أكثر هذه الأديرة متجمعة بالقرب من المدن الكبيرة ، والعواصم المزدحمة ، والأمصار المأهولة خوفاً من اللصوص وقطاع الطرق والفتاك .

أما الكرح بالكسر فبيت الراهب ، ويكون أصغر من القلية ، يسكن فيه الراهب إذا قعدت به الحال ولم يستطع الحصول على قلية . وجمع الكرح أكراح ، ويجيء جمعه أيضاً على صيغة التصغير أكيراح . قال ابن منظور في اللسان ج ٣ ص ٤٠٥ هي

(١) ياقوت ج ٤ ص ١٢٣ .
(٢) ياقوت ج ٤ ص ١٢٥ .

(١) معجم ما استعجم ص ٣٧٦ ، آثار البلاد للقزويني ص ٢٤٨ ، ياقوت ج ٤ ص ١٥٧ .
(٢) حبيب زيات ص ٣٠٠ .

بيوت للرهبان يخرج إليها النصارى فى بعض أعيادهم . ومعنى هذه اللفظة اليونانية الكوخ الصغير .

وأشهر المواضع التى عرفت بالأكيراح هو دير حنة بالحيرة الذى وصفه أبو نواس فى موضعين ، قال :

دع البساتين من ورد وتفاح
واعدل هديت إلى ذات الأكيراح
اعدل إلى نفر دقت شخوصهم من العبادة إلا نضو أشباح
يكررون نواقيساً مرجعة على الزبور بامساء واصباح
تنأى بسمعك عن صوت تكرهه
فلست تسمع فيه صوت فلاح
إلا الدراسة للانجيل فى كتب ذكر المسيح بابلاج وإفصاح
يا طيبه وعتيق الراح تحفهم
بكل نوع من الطاسات رحراح
يسقيكها مدمج الخصرين ذو هيف
أخو مدارع صوف فوق أمساح[1]

ويصف فى موضع آخر من شعره رهبانه ورواهبه ، وكيف أصبحوا أنضاء من العبادة :

يا دير حنة من ذات الأكيراح
من يصح عنك فإنى لست بالصاح
رأيت فيك ظباء لا قرون لها يلعبن منا بألباب وأرواح
دع التشاغل باللذات يا صاح من العكوف على الريحان والراح
واعدل إلى فتية ذابت نفوسهم من العبادة تحف الجسم أطلاح
لم يبق فيهم لرائيهم إذا حصلوا خلاف ما خوفوه غير أشباح
تلقى بها كل محفو مفارقه من الدهان، عليه سحق أمساح
لا يدلفون إلى ماء بآنية إلا اغترافاً من القدران بالراح

والغريب أن ناشر مسالك الأبصار يقول إن الأكيراح : بلد تزه كثير البساتين والرياض والمياه[2] .

والصحيح ما أثبتناه من أن الأكيراح هى بيوت صغيرة تشبه القبة يسكنها راهب واحد إذا لم يستطع الحصول على قلية .

( بغداد ) شكرى محمود أحمد
مدرس العربية بدار المعلمين الابتدائية

(١) ديوان أبى نواس طبعة آصاف ص ٢٦١ .
(٢) مسالك الأبصار ص ٣١٤ .

خواطر مسجوعة :

## فلسفة الفـــأس . . .

قال صاحبى : هل ذكرت الفأس فى كتابك ، وعطفت عليها بآدابك ؟ قلت : نعم وصفتها ، وأنصفتها . فاسمع أيها الصاحب الرشيد ، ما تريد :

الفأس فى تكوينها لا تزيد ، عن قطعة من حديد ؛ رُكِّبت فى غصن تمرد بعد لين ، وتجرد بعد تزيين . هذه فى تكوينها هى الفأس ، أداة البأس ؛ فإن لم يدل صنعها على المهارة ، فإن وراءها روح جبارة ؛ ترد الشظف إن عدا ، وتصد السغب إن اعتدى ...

رأيت حامل الفأس فى الصباح ، كجندى شاكى السلاح ؛ يُذِل بطش العيش ببطش شديد ، ويفُل بأس البؤس ببأس الحديد ؛ فقلت مخ بخ أيها الإنسان ، هكذا العزة تصان ! وبهذا الفأس يتحطم اليأس ! سر فى طريقك غير ملوم فلن يثنيك عن الحرية غشوم ! وواصل الكد فى إمعان ، وابحث عن الرزق فى اطمئنان ؛ غير مسحور بكذب الآمال ، ولا مأسور بذهب الأغلال ، فإن فأسك أمضى فى النفقة ، من السيف فى الصمصمة ؛ وأسرع فى فى الإجابة ، من القلم فى الكتابة ؛ فلو حكمت بأنها أعز من حسام الكمىّ ، وأغلى من يراع العبقرى ، لكنت فى حكمك صائباً ، ولم تك كاذباً !

والفأس فى يدك أيها الزارع ، كالمبضع فى يد الطبيب البارع ؛ لها رهبة السلاح ، وعليها سمة الإصلاح ، تعمل حدها فى الأرض ، فتنسق كثافتها ، وتستأصل آفتها . وتمهد السبيل للماء . وتعد الحقل للنماء ...

وحسب الفأس شرفاً أنها تؤنى نائلها ، وتحمل حاملها ؛ بل تحنو على من يحنو عليها ؛ وتعز من يلتجئ إليها ؛ فترحمه من المن ، وتقيه سوء الظن ؛ وتدربه بطول الركوع على الخضوع لله ، وتهون عليه ما تعقد من أسباب الحياه !

عامر بدر

الأدب في سير أعلامه :

# ٥ ـ تولســـــتوى

[ قبة من أقسم الشوامخ في أدب هذه الدنيا قديمه وحديثه ]

للأستاذ محمود الخفيف

## فتى حائر

كان ليو في نحو الثالثة عشرة من عمره حينما انتقل مع إخوته إلى قازان ؛ وكان جدهم أحد حكام قازان من قبل فكان الصبية ملحوظي المكانة في مضطربهم الجديد وكان يصحب كل صبي منهم خادم خاص جيء به من بين عبيدهم في ياستايا ، وترفع الصبية عمن حولهم من الناس إلا من كانت لهم مثل مكانتهم ولذلك قلت خبرتهم بقازان وأهل قازان ...

وكانت عمتهم يوشكافا التي يعيشون يومذاك في رعايتها طيبة القلب ولكنها لم تكن على قدر من الثقافة كبير ، وكان زوجها من ذوي الثراء يجعل أكثر وقته للموسيقا ولعب الورق إليها ؛ ولذلك كثيراً ما كان يغشى بيته جماعات من أصحابه وكثيراً ما صرف الصبية عن الجد من الأمور مشاهدتهم هذه الجماعات وأوحى إلى نفوسهم اللعب واللهو فكان لذلك سوء أثره في دروسهم.

ولكن ليو لا يسرف في ذلك إسراف إخوته ، بل إنه ليميل إلى عجافتهم إلى حد ما منذ أن رآهم يتغيرون عما ألفهم ، ورأى في أذواقهم وميولهم ما يحس أنه غريب عليه جديد عليهم وما لا يسعه إلا أن ينكره منهم بينه وبين نفسه .

ولعلة ما أنكر ذلك منهم إلا لأنه لا يستطيعه لنفسه ، فقد عاوده ما يكدر نفسه من اهتمامه بهيئته وماذا عسى أن يكون وقعها في النفوس ؛ وإنه ليطيل النظر في المرآة فلا تعجبه أذناه الكبيرتان ولا أنفه المفرطح الواسع المنخرين ولا عيناه الشهباوان الجاحظتان بعض الشيء ولا شفتاه الغليظتان بعض الغلظ .

على أن له في القراءة مصرفاً عن هذا ، وعزاء ومتعة غير ما يسعى إليه إخوته من متعة ؛ وهو اليوم في الرابعة عشرة من عمره يلتهم ما تصل إليه يده من الكتب التهاماً ؛ ولن يزال مكباً على كتابه ساعات طويلة حتى ليفني نفسه ، لأنه يعيش بخياله فيما يقرأ ؛ وكان مما قرأه يومئذ كتاب ألف ليلة وقد أثرت في خياله وحسه قصة « الأربعين لصاً » تأثيراً قوياً وكذلك فعلت قصة الأمير «قرالزمان»؛ وقرأ الغلام شعر بوشكين وأعجب بقصيدته عن نابليون ، وراقته قصة «الدجاجة السوداء» للكاتب الروسي بوجورو لسكي ؛ وقرأ الأنجيل وكم تأثر قلبه بقصة يوسف فأن أثرها فيه كان على حد قوله هائلا ، ولم يزل بعد ذلك بسنين يصف ما أعجبه من وجازتها وبساطتها وصدقها ، ولم يكد يبلغ الخامسة عشرة حتى أصبح مسحوراً بجان جاك روسو ، وإنه من فرط تأثره به ليكاد ينسى كل شيء غيره ، وقد بلغ افتتانه به أنه استبدل صورة له بما كان يضع فوق صدره من صليب ، وأقبل على اعترافاته وكتابيه « إميل » و « هلويز الجديدة » فقرأها مرة بعد مرة ، وكلما أعاد قراءتها ازداد حبه لها واشتد تأثره بها . قال بعد ذلك يصف هذا السحر « كانت صفحات كثيرة منه وثيقة الصلة بنفسي ، حتى لقد خيل إلى أني أنا الذي كتبتها لا محالة » .

ويمتلىء ذهن الفتى في السادسة عشرة بكثير من مسائل الفلسفة ، بل إنه ليطمع أن يحل ألغاز هذا الوجود فيشغل نفسه بالنظر في خلود الروح ووظيفة الإنسان في هذا الكون وصلته به وإمكان وجود حياة أخرى إلى أمثالها من المعضلات والمسائل .

وينظر الفتى في نفسه فيصل إلى رأي ، وذلك أن سعادة المرء لا تتوقف على العوامل الخارجية في ذاتها ولكن على صلة الأنسان بهذه العوامل ، ومن ذلك مثلا أن الأنسان إذا أخذ نفسه بالتقشف وتعود الآلام ألف شقاء العيش وآلامه فان يشق به ولن يألم منه

وعلى ذلك فقد أخذ نفسه بألوان من العنف والشدة كأن يحمل بعض الكتب الثقيلة زمناً ويداه ممدودتان ، وكان يضرب جسمه وقد تعرى بحبل حتى تدمع عيناه ، ثم إنه يقنع نفسه بأن التفكير فى الموت أمر لا محل له وللأنسان أن يستمتع بالساعة التى هو فيها فالموت أمر لا بد منه والحياة أنفه من أن يُعنى بها المرء قلبه ، فليمرح الفتى ماوسعه المرح وليتصرف عن الدرس وليقبل على كل ما يلذه من طيبات الحياة خيرها وشرها وليقض وقته فى قراءة القصص وأكل الحلوى ...

ويحاول أن يتدسس إلى أعماق نفسه ليرى ماذا يجرى فى شعوره فيصل به الأمر إلى ما يقرب من الخبل . تجد ذلك فى قوله « وكنت أفكر فى أنى أفكر فيما كنت فيه أفكر » وإنه ليستغرق فى تفكيره هذا حتى ليأكل ما فى يده ذات مرة من ديدان كان أعدها طعماً للسمك أثناء صيده ثم يمج الديدان من فمه بين الضحك والتقزز .

ولا يلبث الفتى حتى يجد نفسه قد أخذه التشاؤم من جميع أقطاره ، ثم يجد نفسه مستغرقاً فى هذا التشاؤم استغراقاً ، فلافكاك له منه ولا منتدح عنه . تجد ذلك واضحاً فى عبارة جاءت له فى كتابه « عهد اليفاعة » ، ولئن كان هذا الكتاب كسابقه « عهد الطفولة » وكلاحقه « عهد الشباب » لم يكتب على أنه تاريخ حياته فأن أكثر ما جاء فيه من وصف لشخصيات خلقها وأكثر ما جاء على ألسنة هذه الشخصيات يدور حول حياته ومن كان له بهم فى هذه العهود صلة . قال « لم تشتد نزعة فلسفية فى نفسى كما اشتدت نزعة التشاؤم ، تلك النزعة التى أشرفت بى ذات مرة على حافة الخبل فقد تخيلت أنه ما من شىء أو شخص هو قائم فى هذا الوجود بجانب شخصى ؛ وأن الأشياء جميعاً ليست أشياء فقط ، ولكنها صور فحسب لاتظهر إلا عند ما أتجه بفكرى إليها ، وإنها لتختفى حين ينتهى تفكيرى فيها ؛ وقصارى القول أنى وافقت شلنج فيما ذهب إليه من أن الأشياء لا وجود لها فى ذاتها وإنما الوجود هو علاقتى بها ؛ ومرت بى لحظات وصلت فيها تحت تأثير هذه الفكرة المتسلطة على إلى حالة من الخبل حتى لألتفت فى سرعة حولى كى أدرك اللاشىء ... لقد ازدهتنى هذه الكشوف الفلسفية التى بلغتها وأثارت غروري إلى حد عظيم ، وكثيراً ما تخيلت أنى رجل عظيم يكشف حقائق لخير بنى الأنسان ، وبهذا الشعور الذى انطوت عليه نفسى ، شعور الكبرياء نظرت إلى باقى البشر ، ولكنى ما واجهت أحداً من هؤلاء القانعين إلا أحسست بالخجل حياله ، الأمر الذى يحمل على كثير من العجب ، وكلما رفعت قدرى نفسى شعرت أنى أقل مقدرة لا على إظهار ما يخالجنى من شعور الرفعة فحسب ، بل كذلك على أن أعود نفسى أن أتجنب الخجل الذى يعترينى من أبسط كلماتى وحركاتى » .

وتتوزع فؤاده هواجس الشباب وأحلامه ، فبينما هو مستغرق فى تشاؤمه مسرف فيه ، إذا به يميل بغتة إلى التفاؤل فيجمع عزمه على أن يجد فى تحصيل دروسه وأن يكون خير مثال للطالب المجتهد ، ويذهب به التفاؤل إلى حد أن يعتزم العمل على أن يكون موضع إعجاب كل من يراه من الناس فان لم يتفق له هذا فى نواحى الكفاية والبطولة ، فليس ذلك بمانعه أن يبلغ مأربه فى أن يصبح أغنى بنى الدنيا وأشهرهم مكانة .

ولكنه لا تكاد تنقضى أيام على ما عقد عليه العزم حتى يعود إلى تشاؤمه وإلى بطالته ولهوه ، ثم إنه يطلق العنان لرغبات جسده ، وهو فتى قوى البدن متدفق الحيوية يكاد يلتهب مما يخالجه من رغبات هذا البدن على الرغم من إسرافه فيما يطفىء به هذا الظمأ المتصل به ؛ وما يزال به شيطانه يغريه ويزين له كثيراً من الإثم ، ويسوقه إلى مهاوى الفتنة حتى يوقع فى حبائله فتاة من الخدم ذات ملاحة فيغويها ويقضى منها وطره ! ويبلغ نبأ هذا الإثم عمته فتطرد الفتاة من البيت إلى حيث تتلقاها مهاوى الرذيلة ثم يطويها الموت قبل أوانه على صورة محزنة نكراء ...

وما يعنينا هذا الفصل إلا لأنه استقر فى أعماق وجدانه . فكان منه حين تجاوز السبعين من عمره صورة فذة لأهم شخصية فى قصة تعد من أعظم آثاره الفنية وأخلدها ألا وهى قصة (البعث)

ويضطرب الفتى اضطراباً شديداً بين وساوس الشباب ، فما يكاد يخالجه الندم على ما يعده تفريطاً منه فى جنب الفضيلة ، حتى يستسلم ثانية إلى الرذيلة ، ثم يعود فيجمع عزمه على الورع والطهر والعفة وعلى أن يأخذ نفسه بالجد من الأمور ، ولكنه

لا يلبث حتى ينقاد إلى ما يوسوس له به شيطانه .

وهكذا ما يزال الفتى يتملق بالكمال مرة ، وينحدر حتى يقرب من قرارة الانحطاط مرة ، ويرضى عن نفسه حيناً ويجثم على صدره الندم حيناً ، دون أن يستقر على وضع أو يركن إلى رأى ...

وللمرء أن يعجب حقاً من أن تشغل الفتى مثل هاتيك الأمور فى سن كسنه يومئذ ؛ ولقد كان بعد ذلك بسنين يشعر بما عسى أن تثير من عجب ، بل إنه كان يخشى ألا يصدقها المرء أو أن يردها إلى المبالغة فى القول كما ذكر ذلك فى كتابه « عهد اليفاعة » . فما كان التفكير المتصل فى الحياة والناس ، وما كانت الرغبة فى بلوغ الكمال وتلمس السبيل إلى تحقيق تلك الرغبة مما يتكافىء تلك السن ، ولولا ذلك الوضع الذى كان فيه وهو حدث لم يلتحق بعد بجامعة من الجامعات ، وحسب أنداده أن يقرأ الفتى منهم قصة أو يلهو بديوان شعر ...

ولكنه كان فيما يشبه الحى يومئذ مما يجول فى رأسه من أفكار وما يهجس فى نفسه من خواطر ، وما يلج تلك النفس الحائرة من رغبة فى السمو ومن طموح نحو المثل الأعلى ، وإن تولستوى الفتى اليوم لهو صورة مصغرة لتولستوى الكاتب العظيم فى غد ، يوم يشتغل ذهنه الجبار بالفن وبالدين وبمسائل الاجتماع ، ويوم يبحث حائراً قانطاً أول الأمر عن الغرض من هذه الحياة ، حتى تنزل السكينة عليه إذ يرى أن الغرض من الحياة يتلخص فى العمل على السمو بها نحو ما يريد الله من كمال .

وإن تحمسه للمعرفة على هذه الصورة واهتمامه بأن يبلغ ما يطمح إليه من رفعة لدليل لا يدع مجالا للريب على أنه فطر على البحث عن الحقيقة وأنه من المبالغة القلائل الذين تفطن بهم الإنسانية إلى سر وجودها ، والذين يأتون إلى العالم على فترات من الزمن ليقيموا الدليل بوجودهم فى ذاته على أن حياة الإنسان جديرة بأن يحياها الإنسان .

وإنك لتجد مثالا لما كان يعنى به نفسه يومئذ فيما جاء بكتابه « عهد اليفاعة » قال :

« كنت يومئذ فى نحو السادسة عشرة ، وكان الرفاء لا يزالون يترددون على ، وكنت أتهيأ فى فتور وكره لألتحق بالجامعة ... وفى ذلك الوقت الذى أعده نهاية اليفاعة وبدء الشباب ، كانت تقوم أحلامى على مشاعر أربعة : أولها حبى « لها » تلك المرأة الخيالية التى كنت أحلم بها دائما على وتيرة واحدة والتى كنت أتوقع أن ألقاها فى أية لحظة فى أى مكان ما ؛ وثانيها محبتى فى أن أغدو محبوبا ، فقد رغبت فى أن يعرفنى كافة الناس وأن يحبونى ، ورغبت فى أن أصرح باسمى فأجد من الناس جميعاً مايدل على اهتمامهم بما أصرح به وأراهم يحيطون بى فيسمعونى شكرهم إياى على أمر ما ؛ وثالثها أملى فى حظ عظيم غير عادى ، وقد بلغ من تسلط هذا الأمل على أن أشرف بى على الجنون ، ورابع مشاعرى وهو أهمها كان إحساسى باشمئزازى من نفسى واستشعارى الندم ، ولكنه كان ندما ممتزجا بالأمل فى السعادة ولذلك لم يخالطه الحزن ... ولقد أحسست السرور فى نفورى من الماضى وحاولت أن أجعله أكثر اسوداداً مما كان عليه فى واقع الأمر ، وذلك أنه كلما كانت ذكرياتى عن الماضى أكثر سواداً ، ظهر لى الحاضر الناصع الواضح أكثر وضاءة ووضوحا ، وتراءت لقلبى أحلام المستقبل أكثر جمالا وبهجة ، ولقد كان ذلك الصوت المنبعث فى نفسى صوت الندم والرغبة القوية الحادة فى بلوغ الكمال هو الاحساس الرئيسى لروحى فى تلك الحقبة من نموى ، وكان هو الذى رسم لى أساس نظراتى فى نفسى وفى البشرية وفيما خلق الله من كون »

وكان له يومئذ صديق فى قازان ، كان فتى طويل القامة ، عريض المنكبين حسن الهيئة ، فى وجهه ملاحة ورقة ، يبتسم عن أسنان جميلة دقيقة ، ويزين رأسه شعر مسبل ناعم ، ولكنه كان على الرغم من ذلك خجولا كصاحبه إذا لقى الناس ، بل لعله كان أشد منه خجلا وأكثر حساسية ...

وقد حبب هذا الفتى إلى تولستوى إخلاصه لما يعتقد من رأى وتحمسه له وصراحته فى التعبير عما فى نفسه مهما يكن من أمره ، وقد سأل ديا كوف ذات مرة ـ وهذا هو اسم ـ صاحبه تولستوى قائلا أتدرى لماذا أحبك أكثر مما أحب غيرك ؟ ذلك لأنك صريح لا تكتم شيئا فى نفسك ، وهكذا يجتمع الفتيان

على الصراحة فتربط بينهما ، وإنهما ليتقاربان فى كثير من ميولها ، ويتضح لهما ذلك فيما يديرانه بينهما من حوار فى أمور كثيرة ، فيما يتصل بالدين وفيما يتصل بالمجتمع وأركانه من حكومة وتعليم ونظم مالية وما إليها

ولقد كان هذا الفتى شديد التأثير فى حياة صاحبه فما فرغ من محاورته مرة إلا قويت فى نفسه الرغبة فى العمل على الكمال المنشود ، والانطلاق من حياة اللهو والعبث ، تلك الحياة التى يذهب فيها العمر سدى ، ولئن لم يك لتولستوى ما لصاحبه من حسن الهيئة فليس ذلك بمانعه أن يعمل على كسب مايحمل الناس على الإعجاب به مما هو أهم وأجدى من المنظر وحسن الطلعة ، بل إنه لحافزه إلى ذلك العمل الذى يعقد عليه عزمه .

على أنه عزم كأكثر ما يعتزم الشباب فما يلبث أن يذهب فيما تحيطه به الحياة من مسراتها ومغرياتها ، ولكم اضطرب تولستوى بين عزمه وبين لهوه ، ولكم جدد العزم ثم تحلل من عزمه

وكان ديا كوف هو شخصية ديمترى فى كتابه « عهد اليفاعة » فما يفوت كاتب الفذ أن يصور أشخاصه كما رآهم فى مضطرب الحياة ، ولن ينسى شيئا مما رأى أو يسهو عن أمر يتصل بما يقوم فى رأسه من فكرة مهما بلغ من ضآلة هذا الأمر ، وتلك ناحية من أهم نواحى مقدرته الفنية يوم يغدو أعظم من كتب القصة فى أدب قومه وأحد أفذاذها القلائل فى أدب أوربا كله ..

وستمضى الأعوام ويبقى أثر ديا كوف فى نفسه ، فقد كان مما أوحته اليه صحبته عبادة الفضيلة ، وأن غاية الإنسان فى الحياة العمل على بلوغ الكمال والسمو بالنفس أبدا ، وسوف يظهر أثر ديا كوف فى قصة الحرب والسلم فيما جاء على لسان «أندرى» أحد شخصيات القصة قبل معركة أوسترلتز إذ يقول « إنى أرغب فى المجد ، أرغب أن أكون معروفا عند الناس وأن يحبنى الناس ، وما لى رغبة غير هذه ، وما أعيش إلا من أجلها .. وإنى وإن كان ذلك منى أمراً مروعاً غير طبيعي لأصحى حتى بأعز الناس عندى فى سبيل لحظة من المجد والفوز على الرجال ومحبة من لا أعرفهم من الناس ومن سوف لا أعرفهم بعد أبدا

( يتبع ) الحقيف

## وزارة المعارف العمومية

### مراقبة التوريدات

### إعلان مسابقة

تعلن الوزارة مسابقة عن حاجتها إلى كتب فى الأناشيد لتلامذة المدارس الأولية والريفية والابتدائية تكون فى أربع مجموعات الأولى لتلامذة السنة الأولى بالمدارس الأولية والريفية والثانية لتلامذة السنة الثانية بهذه المدارس والثالثة لتلامذة السنة الثالثة بهذه المدارس والسنة الأولى بالمدارس الابتدائية والرابعة لتلامذة السنة الرابعة بالمدارس الأولية والريفية والسنة الثانية بالمدارس الابتدائية .

والأناشيد المزمع اختيارها تبلغ زهاء مائة نشيد تقسم على المجموعات الأربع ، ووحدة المسابقة هى النشيد لا الكتاب على أن يكون للمتسابق الحق فى التقدم بنشيد فأكثر ، وتتراوح كمية النشيد بين ستة أبيات وخمسة عشر بيتاً .

وقد حددت الوزارة للنشيد الواحد مكافأة تتراوح قيمتها بين ثلاثة جنيهات وخمسة ويقدم النشيد مطبوعاً أو مخطوطاً من صورتين ولا يتقدم به إلا منشؤه أو ورثته .

وستشترى الوزارة حق تأليف النشيد الذى تسفر المسابقة عن صلاحيته نظير المكافأة المشار إليها .

وآخر ميعاد لتقديم الأناشيد للوزارة هو يوم ١٥ مايو سنة ١٩٤٧ .

وقد وضعت الوزارة لهذه المسابقة شروطاً وتوجيهات خاصة يمكن المتسابقين الحصول عليها من مراقبة التوريدات بالوزارة بشارع الفلكي .

٦٨٣٦

# نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٨٧٤ — الله

التبصر فى الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين لأبى المظفر عماد الدين الأسفرايينى :

إن الله لا يجوز عليه الكيفية والكمية والأينية ، لأن من لا مثل له لا يمكن أن يقال فيه : كيف هو ؟ ومن لا عدد له لا يقال فيه : كم هو ؟ ومن لا أول له لا يقال له : م كان ؟ ومن لا مكان له لا يقال فيه : أين كان ؟

وقد جاء فيه عن أمير المؤمنين على ( رضى الله عنه ) أشفى البيان[1] حين قيل له : أين الله ؟

فقال : إن الذى أيّن[2] الأين لا يقال له : أين .

فقيل له : كيف الله ؟

فقال : إن الذى كيّف الكيف لا يقال له : كيف .

وسأله آخر : ما جهة وجه الله ؟ فأمر حتى أتى بشمعة فوضعها فى أنبوبة قصب ، فقال للسائل : ما وجه هذه الشمعة ؟ وبأى جانب مختص ؟

فقال له السائل : ليس بمختص بجانب دون جانب

فقال : فقيم السؤال إذن[3] ؟

(١) قلت : القول لقائله وقد أريدت تقويته بزوته .

(٢) هذا الفعل : ( أين ) مثل الفعل ( كيف ) — هو من المولد ، وقد جاء ( التكييف ) فى ( التهج ) كما جاء ( الأزل ) ولولا المولد ماسار العلم فى المدينة العربية الاسلامية ذلك السير .

(٣) قال صاحب التبصير : معناه إذا جاز أن يكون فى المخلوقات شىء لاختصاص له بجهة دون جهة ، فلا يجوز أن يكون خالق الخلق غير مختص بجهة دون جهة .

٨٧٥ — ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم

الفصل[1] فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم :

إن اليهود يقولون للدنيا أربعة آلاف سنة ونيف ، والنصارى يقولون : للدنيا خمسة آلاف سنة ، وأما نحن فلا نقطع على عدد معروف عندنا ، وأما من ادعى فى ذلك سبعة آلاف سنة أو أكثر أو أقل فقد كذب ، وقال ما لم يأت قط عن رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) فيه لفظة تصح ، بل صح عنه ( عليه السلام ) خلافه ، بل نقطع على أن للدنيا عمراً لا يعلمه إلا الله ( عز وجل ) قال الله (تعالى) [ ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم ] وقال رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) « ما أنتم فى الأمم قبلكم إلا كالشعرة البيضاء فى الثور الأسود أو كالشعرة السوداء فى الثور الأبيض » هذا عنه ( عليه السلام ) ثابت ، وهو ( عليه السلام ) لا يقول إلا عين الحق ، ولا يسامح بشىء من الباطل ...

٨٧٦ — أثر العربية والأدب في يهودى

عيون الأخبار لابن قتيبة : ... أبو العيناء قال : كان بالبصرة لنا صديق يهودى ، وكان ذا مال ، وقد تأدب وقال الشعر ، وعرف شيئاً من العلوم ، وكان له ولد ذكور ، فلما حضرته الوفاة جمع ماله وفرقه على أهل العلم والأدب ، ولم يترك لولده ميراثا فعوتب على ذلك فقال :

رأيت مالى أبرّ من ولدى  فاليوم لا نحلة ولا صدقه
من كان منهم لها فأبعده الله ومن كان صالحاً رزقه

٨٧٧ — فلو أتى بوقيته ما عرفته

تتمة اليتيمة : أبو الحسن محمد بن الحسين الصنانى قال :

أنشدنى ابن المغربى الوزير لنفسه فى بلوغ النهاية من السلوة ، ولم أسمع فى معناه أبلغ منه :

حبيب ملكت الصبر بعد فراقه  على أننى علقته وألفتـــه

(١) الفصل فى اللغة جمع الفصلة ، فى اللسان : الفصلة النخلة المنقولة المحولة وقد افتصلها عن موضعها ، خير النخل ما حول فنبله عن منبته ، والفسيلة المحولة تسمى الفصلة ...

عما حسنٌ يأسى شخصه من تفكرى
فلو أننى لافيتـــه ما عرفته

## ٨٧٨ — اقعد ، اجلس

وفيات الأعيان : هو (أى ابن خالويه) القسائل : دخلت يوماً على سيف الدولة بن حمدان ، فلما مثلت بين يديه قال لى : اقعد ، ولم يقل : اجلس ، فتبينت بذلك اعتلاقه بأهداب الأدب واطلاعه على أسرار كلام العرب . وإنما قال ابن خالويه هذا لأن المختار عند أهل الأدب أن يقال للقائم : اقعد ، وللنائم والساجد : اجلس ، وعلله بعضهم بأن القعود هو الانتقال من العلو إلى السفل[1] ، ولهذا قيل لمن أصيب برجليه : مقعد ، والجلوس هو الانتقال من السفل إلى العلو ، ولهذا قيل لنجد : جلساء لارتفاعها وقيل لمن أتاها : جالس ، وقد جلس ، ومنه قول مروان بن الحكم لما كان والياً بالمدينة يخاطب الفرزدق :

قل للفرزدق والسفاهـــة كاسمها
إن كنت تاركه ما أمرتك فاجلس

أى أقصد الجلساء ، وهى نجد[2] .

## ٨٧٩ — أمر لا يدرك إلا بالذوق

ابن أبى الحديد : إن معرفة الفصيح والأفصح ، والرشيق والأرشق والحلو والأحلى والعالى والأعلى من الكلام — أمر لا يدرك إلا بالذوق ، ولا يمكن إقامة الدلالة النطقية عليه ، وهو بمنزلة جاريتين إحداهما بيضاء ، مشربة حمرة ، دقيقة الشفتين ، نقية الثغر ، كحلاء العينين ، أسيلة الخد ، دقيقة الأنف ، معتدلة القامة . والأخرى دونها فى هذه الصفات والمحاسن لكنها أحلى فى العيون والقلوب منها وأليق وأصلح ، ولا يدرى لأى سبب كان ذلك . ولكنه بالذوق والمشاهدة يعرف ، ولا يمكن تعليله .

وهكذا الكلام ، نعم يبقى الفرق بين الموضعين أن حسن الوجوه وملاحتها وتفضيل بعضها على بعض يدركه كل من له عين صحيحة وأما الكلام فلا يعرفه إلا أهل الذوق ، وليس كل من اشتغل بالنحو واللغة أو بالفقه كان من أهل الذوق ، وممن يصلح لانتقاد الكلام ، وإنما أهل الذوق هم الذين اشتغلوا بعلم البيان ، وراضوا أنفسهم بالرسائل والخطب والكتابة والشعر ، وصارت لهم بذلك دربة وملكة تامة . فإلى أولئك ينبغى أن ترجع فى معرفة الكلام وفضل بعضه على بعض إن كنت عادماً لذلك من نفسك .

## ٨٨٠ — يا ظبية البان ترعى فى خمائله

فى (الغيث الذى انسجم فى شرح لامية العجم) للصفدى :

« ما من شاعر فى الغالب إلا وقد عارض الشريف الرضى فى قصيدته التى أولها :

يا ظبية البان ترعى فى خمائله ليهنك اليوم إن القلب مرعاك

وما منهم من رزق سعادته » .

قلت : هذه أبيات منها ، قال بعد المطلع :

الماء عندك مبذول لشاربه وليس يرويك إلا مدمع الباكى
هبت لنا من رياح الغور رائحة بعد الرقاد عرفناها برياك
حكت لحاظك ما فى الريم من ملح
يوم اللقاء فكان الفضل للحاكى[1]
كأن طرفك يوم الجزع يخبرنا بما طوى عنك من أسماء قتلاك
أنت النعيم لقلبى والعذاب له فما أمرّك فى قلبى وأحلاك
سهم أصاب وراميه بذى سلم من بالعراق لقد أبعدت مرماك
عندى رسائل شوق لست أذكرها
لولا الرقيب لقـــد بلغتها فاك
لو كانت اللمة السوداء من عددى
يوم النعيم لما أفلت أشراكى[2]

---

(١) بضم السين وكسرها وسكون اللام .

(٢) التاج : قال الأصبهانى فى المفردات وتبعه المصنف (صاحب القاموس) فى البصائر : إن الجلوس إنما هو لمن كان مضطجعاً والقعود لمن كان قائماً باعتبار أن الجالس لمن كان يقصد الارتفاع أى مكاناً مرتفعاً ، وإنما هذا يتصور فى المضطجع ، والقاعد بخلافه فيناسب القائم .

(١) التاج : ملح ككرم يملح ملوحة وملاحة وملحا فهذه ثلاثة مصادر الأول هو الجارى على القياس والثانى هو الأكثر فيه ، والثالث أولها .

(٢) النعيم — بفتح أوله وكسر ثانية — موضع بين مكة والمدينة (معجم البلدان) . أفلته وأفلت منه .

من بودلير :

# أوهـــام .

للاستاذ محمد على مخلوف

نسيت وفى أحداث يومى ماينسى فلاتذكرى ما كان منى بالأمس!
أجل كنت ريان الجوانح بالمنى وكنت قرير العين أنعم بالأنس
هى الموجة ... الفرحى تضل طريقها
إلى القلب فى ألفاف موج من البؤس
أنا الشاعر الحيران فى عالم الرؤى
أطل على الأكوان من هيكل القدس
تغازلنى الأرواح فى سبحاتها وتنشدنى حتى أغيب عن حسى
وأحيا على الدنيا غريباً مشرداً حليف هوى حتى يوارينى رمسى
وأصبو إلى الأنغام والنيد والطلى
وإن غصفت أفكارى السود فى رأسى
يريب رفاقى ما بدا من تمردى وإيثارى اللهو البرئ على الدرس
وما علموا أنى دفنت مواهبى
وحطمت أقلامى وثرت على طرسى
وردد فى الدهر أنشودة البلى مغلغلة الأصداء خافتة الجرس!
وأخرست الآلام أوتار مزهرى وغاضت ينابيع السعادة فى نفسى
لقد فرغت كأسى ... فمن لى بغيرها
وهيهات أن أحيا وقد فرغت كأسى
ظننت الهوى يدنى من الخلد موكبى
فكان الهوى دون المظنة والحدس
وفى حقل عمرى كم غرست تجارباً
ولكن غيرى قد جنى ثمر الغرس
وقلبى فى نهر الحياة سفينة تميد على سم الصخور ولا ترسى
يلين إذا مس الرجاء شغافه ويقسو إذا طافت به ثورة اليأس
ويحمل أعباء ثقالا ... تؤوده ولا يتشكى حين يصبح أو يمسى
بلى إنه فى الحب قد صار كالذى تخبطه الشيطان من ألم المس
وفى الشك للحيران ومض هداية يضج معانيه . فيرتاح للهمس
لقد بت فى سوق المآثم عفتى
وحظى من الأخلاق بالثمن البخس
وها هو ذا ثوب التقى قد نزعته لتغسله الأقدار فى حمأة الرجس
طمست على قلبى فغاب صوابه
وهوّم فى داج من الريب والهجس
وإن حياتى لن يضىء ظلامها ...
سوى قبس من نور حسنك يا شمسى
فلاتذكرى ما كان منى بالأمس! نسيت وفى أحداث يومى ماينسى!

# قبـل الرحيل

للاستاذ حسين محمود البشبيشى

أغداً أرحـل عن جنـة حبى أغداً ؟ لا كان من عمرى غد!
تاركا فى معبد الأشواق قلبى تعبث الذكرى به والـوعد!
كل شىء ها هنا يذكر أنى
قد أذبت الوجد من قلبى وعينى
وغداً أرحل!! .. لا كان غد

---

يا عيونى ... ودعيها ثم نوحى فحرام أن ترى الدمع بعينى
وابسمى صبراً كما تبسم روحى بالذى يخلد فى قلبى وأذنى
من ليالى الوصل فى ظل الأمانى
حينما كنا كأصداء الأغانى
فنهادى ... وغداً تبعد عنى!

---

أغداً أرحـل عن وكر الأمانى وغـداً تذبل أزهار اللقـاء
يا غدى لا كنت من عمر الزمان لا رأتك العين يا ظل الفناء
كيف أحيا مفرد القلب غريبا
كيف أنسى ثغرها الحلو الحبيبا
كيف أنساها ... وأيام الهناء

---

يا طريق ... كم هنا سرنا معاً أترى فى البعد تنسى خطواتى ؟
وهنـا الحب ... بقلبينا سمى راقص الفرحة حلو الأغنيات
كم ضحكنا .. كم بكينا .. ها هنا
وانطلقنا .. خلف أسراب المنى
آه ما أقسى فراق الذكريات

بين مصر والسودان :

# قصة الروح ...

للأستاذ عثمان طه شاهين

أخذت الحضارة تصلح على ضفاف النيل ووديه منذ أن بدأ الإنسان يشتغل بالزراعة وبدأت حياة الاستقرار وإنشاء الحكومات ، وحيث أن المصريين — كما يقول هيرودوت — هم أقدم أمة متمدينة على الأرض فقد أخذت حضارتهم تنبث إذن على ضفاف الوادى متجهة مع الماء نحو الجنوب ، تاركة فيه رواسب متباينة من هذه المدنية القديمة ، وعلى هذا الأساس فقد بذرت البذور الأولى من قصة هذه الروح ، ثم إن هذه الصلة قد تكونت عن صدق وإخلاص لأن السودانيين كانوا يدينون بالدين المصرى القديم ويتكلمون اللغة المصرية .

يرى المحدثون من الباحثين أن معالم الحضارة المصرية القديمة والثقافة العربية قد تسربتا إلى السودان الشمالى عن طريق مصر ، وقد استطاع هذا الأقليم أن ينتج فى وقت ما حضارة شبه مصرية من حيث طابعها ومظهرها ، ومنه خرج الغزاة الذين أسسوا إحدى الأسر الفرعونية كما أنه أقرب من حيث ثقافته وحالته البشرية العامة إلى مصر من أقليم النوبة الشمالية نفسه مما يرجح الأخذ بأن قصة هذه الروح تقوم على دعائم ثابتة ، وعلى أركان وطيدة راسخة تمد الروح فى جهادها العبقرى للتخلص من وبقة الاستعمار .

فالروح فى الشمال لم تستكن يا صاح — فى تاريخها الطويل — للغزاة الفاتحين ؛ فإذا نظرنا إلى غزاة مصر من الأغريق والرومان فأنا نجد أنهم لم يفلحوا فى فرض طابعهم على الحياة المصرية ، ذلك لأن هنالك قوة حيوية كامنة فى نفوس المصريين تستحثهم على الدوام وتوجههم للثورة على الغالبين ، فنجدوا هم غالبين منتصرين ، مسيطرين على المجرى الطبيعى لوادى النيل ؛ ومن هنا ندرك أن الروح المؤمنة الشاعرة تنتصر على الدوام لأن رسالتها تنبعث من قوى الإيمان الصادق .

وإذا انتقلنا مع الزمان نقلة سريعة باحثين عن الأثر الذى تركته الحياة العربية فى جنوب الوادى فاننا نلمح تجاوباً سريعاً فى حياة الروح فى الشمال والجنوب ، ذلك لأن الآلام واحدة والآمال واحدة كذلك ، ومرجع ذلك ومرده إلى وحدة اللغة والدين والعادات والتقاليد ، لأن حياة الأمم — كما نعلم — لا تتكون إلا عن طريق هذه النظم الاجتماعية الكبرى التى تعبر تعبيراً صادقاً عن التطور الطبيعي المرموق ، وعلى هذا فالإيمان الذى يدعو إليه أبناء الشمال عن الجلاء ووحدة الوادى يجد سبيله النافذ إلى أبناء الجنوب فهم يستمسكون به ويدافعون عنه ويضحون فى سبيله بأغلى ما يملكون . فالروحان المتعانقان فى الشمال والجنوب يؤمنان ويجاهدان ويعملان ...

ولكن ما هى العناصر التى تمد هذه الروح وتذكيها ، وما هى الآثار التى يخلفها هذا الإيمان ، وما هو المدى الذى تتطلع إليه هذه الروح فى غدها القريب السعيد ؟ كل هذه النتائج يتلمسها المتتبعون لسير الحوادث فى جنوب الوادى فى هذه الآونة الأخيرة ؛ ذلك أن حركة وادى النيل قد أخذت تظهر منذ أن هب المخلصون من السودانيين تلك الهبة المعروفة والتى تمخضت عن حوادث سنة ١٩٢٤ الدامية إذ قتل فيها من قتل وشرد فيها من شرد ، فكانت تلك الحركة إذن وقوداً يذكى الروح الشعبية فى جنوب الوادى ، وقد وجدت تلك الحركة صداها فى نفوس الشعراء من شباب ذلك الحين فانبعثت الألحان الثائرة من عبد الله بن عبد الرحمن ، ومدثر البوشى ، وعبد الله البنا ، وصالح عبد القادر . فكانت الشرارة الأولى للروح الثائرة المؤمنة ...

وإذا نظرنا إلى قصة الروح فى الشمال فإنا نجد أن الحملة الفرنسية قد كان لها دور بعيد فى تاريخ هذه الروح ، إذ كان الفرنسيون أول أمة غربية هبطت مصر فى تاريخها الحديث واستولت عليها ، وبهذا فقد اتجهت أنظار الدول الأوربية إلى مصر وغدا لها فى تاريخ الروح الأوربية طور جديد ؛ أضف إلى هذا أن انجلترا قد أخذت تهتم بمصر اهتماماً عظيما وذلك لمركزها الجغرافى المرموق ، وأخذت تعمل — بالتالى — للحيلولة دون وقوع مصر فى يد دولة غربية أخرى ، ومن هنا تلعب قصة الروح دورها الذى انفردت به من بعد على مدى التاريخ ؛ ومن

هنا ظهرت لجنوب الوادى مكانته فى نظر السياسة الانجليزية كما هو معروف .

ومن البداهة أن يلاقى المباقرة من العظماء والمجاهدين والفنانين الآلام المبرحة فى سبيل الوصول إلى القمة فى حياة الروح ، ذلك لأن التخلص من طبيعة الأرض يحتاج بهم من الانفلات والصعود فيجاهدون ويجاهدون ، ومن البداهة كذلك أن تلاقى الأمم هذه الآلام فى تاريخها للوصول إلى العزة والكرامة والاستقلال ، فالإيمان والمثابرة شرطان ضروريان للروح فى سبيل تلمس مثلها العليا الكريمة ، والغاية قريبة — مهما بعدت الشقة — إذا دعمتها إرادة قوية وإيمان مطلق .

كانت الروح التى نادى بها جمال الدين الأفغانى مشتعلة وهّاجة ، إذ لبث فى مصر سنوات يتصل بالطلبة من كل أرجاء العالم الإسلامى ويبث تعاليمه ومبادئه فتجد الاستجابة المؤمنة في نفوس أبناء الأزهر بشكل لم يعهد له مثيل فى العصور الحديثة ، وأخذ الإمام محمد عبده يعيد للفكر قدسيته وللدين مكانته من حيث النظر العقلى السديد مما يذكر الباحثين بابن رشد حينما أراد أن يؤاخى بين الشريعة والحقيقة ، ومن هنا كان لهذه الحركة صدى بعيد فى الجنوب فارتبط الجهاد على الإصلاح والإيمان كما يرتبط اليوم على الجلاء والوحدة ، وكان ذلك النشاط المرموق يستمد قوته وبقاءه من الحركة المرابية فى الشمال ومن حركة المهدى فى الجنوب ، وعلى هذا فقد تلاقت الأكف والقلوب والحناجر بالدعاء والتضحية والإباء ...

أما اليوم — فى حياتنا العاصرة الرشيدة — فقد أخذت الروح فى الشمال تعبر تعبيراً صادقاً عن إيمانها بالجنوب ، وأخذ الأديب السياسى الفنان هيكل باشا يصوغ هذا التعبير إذ قال : « إن مصر لم ترد فى يوم من الأيام سيطرة على السودان ولا تسلطاً على أهله ولا استغلالا لموارده ، ولكنا ونحن نعيش فى واد واحد تتحدد فيه مرافقنا واقتصادياتنا ومقوماتنا جميعاً لا يستطيع أحدنا أن يستغنى عن صاحبه فى الشمال أو فى الجنوب ، كما أن أهل الغرب طالما كرروا ويكررون أن الأمم الصغيرة خاصة لا يمكن ان تعيش وحدها بل يجب أن تتكتل لتصبح قوية قادرة على التعاون ، والأمم لا تتكتل إلا إذا تجاورت ، وليس هناك تجاور أقرب من تجاور السودانيين والمصريين » .

وأخذت الروح فى الجنوب تعبر تعبيراً صادقاً عن إيمانها بالشمال وتجعل هذا التعبير فى القوى المذخورة التى ادخرتها الأمة لوفدها الأمين ، وفى هذه الآثار القوية المتجلية فى وجود الشعب ومشاعره وأحاسيسه وفى الأفكار التى يبعث بها الجنوب على صفحات الصحف المحلية والخارجية وفى الوثيقة الدموية التى خطها الشباب بقلبه وروحه ودمه ، وفى كل مايحدث من ثورات ويسيل من دماء تعبر عن هذا الإيمان وتكشف عن طبيعة الروح وهى تتخذ طريقها للتعبير ...

آمنت الروح على ضفاف الوادى بأنها ستنال حريتها وكرامتها ، وكان من طبيعة هذا الإيمان أن تتجاوب أنغام التضحية والفداء فأخذت القلوب تتلاقى فى الشمال والجنوب مؤمنة برسالة الحرية والإخاء داعية لأنغام الجهاد ، فسالت الدماء الطاهرة على قرى الوادى مؤذنة بميلاد الفجر الجديد ، وارتفعت الحناجر منادية بالثورة فى شباب الجامعة فى الشمال وفى أروقة العلم فى الجنوب ، ولفظ الشهداء أنفاسهم الأخيرة وهم ينادون بالاستقلال للوادى الكريم ، فأذن المؤذن بميلاد الفجر الجديد .

نعم ، قد أراد الوادى اليوم أن يكون خالصاً لبنيه ، وإذا أرادت الأمم شيئاً فهى واصلة إلى ما تريد . فالروح إذن إنما تعبر تعبيراً صادقاً عن أحاسيس أبناء الوادى ومشاعرهم وتترجم عن مواطن القوة والكمال فيهم :

إذا الشعب يوماً أراد الحياة فلا بد أن يستجيب القدر
ولا بد لليل أن ينجلى ولا بد للقيد أن ينكسر

ذلك لأن إرادة الحياة — كما يقول الشابى — إنما تخلق بالأمم القوية الشاعرة التى تؤمن برسالتها فى الحياة وبحقها فى الوجود .

يا إخوان الطفولة وياحماة المرين ! انظروا إلى الأسد البريطانى يفغر فاه ليلتهم القوى المذخورة فى النفس . فلتكن يقظين ، فالانجليز معكم يا إخوان يسيطرون على كل شبر فى الجنوب ، وينبثون بينكم فى كل مكان ، ويصرفون الأمور بعددهم العديد الجم ، فكونوا يقظين حريصين ناظرين ، واعلموا أن جهادكم

# الأدب والفن في أسبوع

هذا واجب قومي :

تلقت وزارة المعارف رسائل من بعض الهيئات الثقافيـة والعلمية فى الحبشة وأريتريا وجنوب أفريقيا والهند وغيرها من الأقطار الإفريقية والآسيوية وكلها تطلب أن تساعدها الوزارة ثقافياً وعلمياً بما يعينها فى أداء مهمتها ، وكلها تلح أن تبادر الوزارة المصرية إلى بذل هذه المعونة لشدة الحاجة إليها .

ولست أدرى ماذا صنعت أو ستصنع الوزارة بهذه الطلبات ولا مدى ما عندها من الاستعداد لبذل المعونة المطلوبة ، ولكنى أبادر فأقول إن من الواجب على الوزارة أن تبذل هذه المعونة ، وتلى جميع هـذه الطلبات مهما كلفها الأمر ومهما لقيت فى سبيل ذلك من الضيق والرهق ، لأنها بهذا تؤدى واجباً على مصر نحو قوميتها ونحو مكانتها .

إن مصر تقف اليوم موقف الزعامة للعالم الإسلامى والعربى ، وللمجد تكاليف شاقة مرهقة ، فنحن لا نستطيع أن نحتفظ لمصر بزعامتها ولا أن ندعم مكانتها عند الأقطار العربية والإسلامية إلا إذا حققنا لهذه الأقطار ماتنشده عندنا وما ترجوه فينا وتطلبه منا ، وقد كان من الواجب علينا أن نتبرع بهـذه الخدمات الثقافية ، فكيف وقد توجه إلينا الرجاء بتحقيقها والنهوض بتأديتها ...

لقد قرأت فيما قرأت من أنباء هذا الأسبوع أن انجلترا تعانى فى داخل بلادها ضنكا فى شئون المعيشة ، وأن أفراد الشعب هناك لا يحصلون على حاجتهم من مواد الطعام واللباس ، على حين أن انجلترا تصدر الكميات الضخمة من هـذه المواد إلى الخارج ، وذلك لأنها تريد أن تحتفظ بأسواقها التجارية وأن تظل عنـد أمل الشعوب التى تقع تحت سيطرتها فيها ، فهى تضحى وتطلب إلى شعبها أن يحتمل الرهق حتى لا تغلبها دولة منافسة على أسواقها ، وحتى لا تجد أمة فرصة لاقتحام الميدان عليها ...

فياحبذا لو أخذت وزارة المعارف عندنا بهذا المبدأ فى تلبية ما يطلب منا من تأدية المعونات الثقافية فى الخارج ، ويا حبذا لو قدرت الوزارة أن الأمر واجب قومى لا بد فيه من التضحية وتجنيد الجهود مهما كنا فى أشد الحاجة إلى تلك الجهود .

المعجم اللغوى التاريخى :

يشتغل المجمع اللغوى الآن بإنجاز المعجم اللغوى التاريخى الذى وضعه المستشرق الألمانى المعروف الدكتور فيشر ، وقد قدر المبلغ اللازم لطبع هذا المعجم وإخراجه بألف وخمسمائة جنيه ، وإنه فى الواقع لمبلغ ضئيل بالنسبة لقيمة ذلك المعجم النافع الذى ليس له مثيل فى اللغة العربية .

أقول لا مثيل له فى العربية لأنه ليس لدينـا معجم لغوى يشرح تطور الكلمات العربية فى دلالاتها ومعانيها وما جرى

---

فى الحرب قد استنفد منهم كل ما يملكون وفى الجنوب عوض للجهود التى بذلت وللنفوس التى حطمت وللأرواح التى حاق بها الخسران ...

هل تؤمنون اليوم بأن الانجليز يؤيدون حركة الانفصال ويرعونها لأن فيها خير البلاد ورفاهيتها وتقدمها ، وهل يقوم حاكم السودان بجولاته فى الغرب والشرق ، شارحاً قصة الحكم الذاتى ، متحدثاً عن أسطورة الاستقلال ، داعياً إلى مذهبه الجديد ، هل يصدق أولئك وغيرهم بأن الحاكم الانجليزى يفعل ذلك لخير السودان أم لخير الامبراطورية ! ؟

نحن مؤمنون يا صحاب بأن موسيقى الحياة تسير على أنغام عذاب ، ونحن مؤمنون بأن حركة الانفصال تلعب بها أصابع خفية ناشزة ، فلتشدوا الأوتار من جديد ولتصلحوا الحياة كيما تستقيم ، واعزفوا لأطفال اليوم ورجال الغد بأن الانجليز هم الداهية الدهياء فى الشرق الحديث ، وابعثوا الأنغام هادئة نقية ، وآمنوا بأن للوادى روحاً وجسما وانظروا إلى رسالة السماء ...

ولتسر هذه الروح مؤمنة برسالتها فى الشمال وفى الجنوب واليدان الممدودتان — من ريشة الفنان — قبل الأرض تباركان الخير وتبذران الحب للساعين ...

محمد طه شاهين
ليسانسيه فى الفلسفة

فى استعمالاتها المختلفة على نحو ما يعنى به علماء فقه اللغة ، وقد حاول جار الله الزمخشرى فى معجمه « الأساس » وضعاً قريباً من هذا ولكنه جعل قصده إلى إظهار تطور الألفاظ وانتقالها من الاستعمال الحقيقى إلى الاستعمال المجازى . وفى العصر الحديث عمد المستشرق فيشر إلى سد هذه الثلمة فى القواميس العربية ولما لم تكن هناك مصادر تعينه فى قصده جعل كل اعتماده على مراجعة النصوص العربية ، ومعنى هذا أن التراث العربى كله كان مصدر بحثه ، ولقد اضطلع الرجل بهذه المهمة الشاقة فى صبر العلماء وأناتهم حتى استطاع أن يحرر فى ذلك آلاف الجذاذات لتكون مادة القاموس إذا ما رتبت .

وعند ما اختير هذا المستشرق عضواً فى المجمع اللغوى بمصر تقدم إلى المجمع بفكرته وعمله فى هذا القاموس فشهد المجمع بأنها فكرة رشيدة وعمل جليل وأخذ الأهبة للعمل على إتمام هذا المعجم وإخراجه فى وقت قريب .

وكان أن قامت الحرب ، وسافر فيشر إلى بلاده ، وجاءت الأنباء بأنه قضى نحبه فى إحدى الغارات ، وطوى أمله وعمله فى مطاوى الإهمال والنسيان ، إذ لم يكن « ضمير » السياسة يسمح بأن يظهر هذا العمل لذلك العالم الذى ينتسب إلى بنى الألمان مهما كان عمله خالصاً للعلم . ثم انتهت الحرب ، وظهر أن فيشر لا يزال حياً والحمد لله ، وأن أحداث الحرب الرهيبة لم تنسه الرغبة فى إتمام عمله بإخراج ذلك المعجم الذى وقف عليه العمر ، وعلى هذا عاد المجمع يهتم بإظهار هذا الأثر النافع المفيد ، وكل ما نرجو أن لا يبدو مايدعو إلى التطويح به والتسويف فيه .

... إنه العلم أماه ! !

فى مجلة « الباحث » — وهى مجلة تصدر فى تونس لخدمة الأدب والفن والتاريخ والفلسفة — قرأت فصلين متتابعين عن « كتاب ألف ليله وليلة » ، فما انتهيت من قراءتهما حتى تبين لى أنى نظرت هذا البحث من قبل ، ولما أثرت الذاكرة ظهر لى أن الكاتب أخذ بحثه أخذاً كاملا أميناً من بحث كتبه صاحب « الرسالة » عن « ألف ليلة وليلة » ، ومن العجيب أن صاحب « الرسالة » قد حاضر بهذا البحث أبناء العراق ، ونشرته مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق ، ثم مجلة المعرفة فى مصر ، وأثبتته « دائرة المعارف الإسلامية » فى التعليق على مادة ألف ليلة وليلة وسجله صاحبه فى كتاب « فى أصول الأدب » ، ولكن كل هذا لم يحمل الأستاذ التونسى على الاشارة إلى صاحب البحث إبراء للذمة .

ومنذ قريب تناولت مجلة أدبية سياسية تصدر فى لبنان ، فطالعت فيها قصة لشاب من أبناء لبنان يحسبونه فى الكتاب وفى الشعراء أيضاً ، ولكنى ما كدت أنتهى منها حتى ذكرت أنى قرأت تلك القصة فى مجلة مصرية لكاتب مصرى ، وبعد المراجعة تبين لى أن لا فرق بين القصتين إلا أن الكاتب المصرى جعل فتاة القصة من لبنان والكاتب اللبنانى جعل فتاة قصته من مصر

وكم من عجائب وغرائب ، وكلها من هذا القبيل ، وإنها لجرأة أثيمة ؛ فان من الأمانة فى العلم والإخلاص للأدب أن ينسب كل رأى لصاحبه ، وأن يرد كل فضل لفاعله ، وقد علمنا شيوخنا أن من شرائط الأدب والتأدب أن نسمى الاقتباس اقتباساً ، والنقل نقلا ، وقالوا لنا إن من نسب رأياً إلى صاحبه فقد خلص من تبعته . أما سرقة الأفكار والتطاول بأنها من صنع الابتكار ، فانها لصوصية فى تقدير الأخلاق ، وجريمة فى حكم القانون ؛ وعجز يتدلى بصاحبه فى عرف الناس .

همزم البدو :

قرأت فى إحدى المجلات السودانية كلمة يقول فيها كاتبها : « إن فى أشعار البدو الرحل فى السودان وفى دوبيت العرب القاطنين أشعار كثيرة يتفق الخاطر فيها مع الخاطر العربى الأصيل ، ويهيب بأبناء السودان وأدبائه أن يلتفتوا التفاتاً جدياً إلى هذا الضرب من الأدب المقارن . » .

وكنت قد قرأت كلمة للباحث الفاضل الأستاذ أحمد رمزى بك فى جريدة الأهرام أشاد فيها بالملاحم العربية البدوية وقال : « إن ترك هذه الثروة الأدبية التى يملكها العالم العربى بغير بحث واستقصاء وجمع وتسجيل جريمة فى حق الأدب الشعبى والفنى ،

وإني أطمع في أن أجد جماعة منظمة تعنى بهذه الناحية وتجمع هذه الثروة الفنية خاصة وأن أثرها لا يزال عميقاً في نفسية شعوب المروبة » .

والواقع أن ملاحم العرب البدو جديرة بالاهتمام والتسجيل ، ولكنا تغاضينا عن هذا التراث وأهملناه إهمالا كبيراً ، وقد كان للأجانب شغف وعناية بهذا التراث أكثر من عنايتنا به ، فهل آن الأوان لأن نهتم بذلك التراث الحافل ، وأن نبذل له ما يجب من الدراسة والتسجيل ؟

## معلوم !

يزور أقطار الشرق العربي في هذه الآونة مستر دكسون المستعرب الانجليزي استعداداً لإصدار مجلة باللغة الانجليزية في لندن للدفاع عن قضايا العرب في الشرق الأوسط وشمال إفريقية ، ويقول مستر دكسون إن مجلته هذه لن تكون ذات صبغة سياسية ، ولكنها ستعنى بالثقافة والعلم والحياة العربية ، وستوزع في بريطانيا وكندا والولايات المتحدة لكي يعرف الغربيون أكثر مما يعرفون الآن عن حياة العرب وقضاياهم .

وليس مستر دكسون بالرجل الغريب عن أقطار الشرق العربي ، فقد أمضى بها من قبل نحو عشر سنوات ، وتنقل في مصر والسودان وفلسطين وطرابلس وغيرها من هذه الأقطار ، وهو يتقن اللغة العربية ولا يزال جاداً في الإحاطة بآدابها وثقافتها ، وقد أنشأ أخيراً الجمعية الاسكتلندية العربية وأسند رياستها إلى السير والتر ماكسويل سكوت كما استعان في رعايتها بالسفراء العرب في لندن ، ويقولون إنه الآن بسبيل تأليف جمعية أخرى في دبلن بإرلندا ...

ولكن ما هذا كله ؟ وهل مستر دكسون يبذل كل هذا العناء للدفاع عن العرب وقضاياهم حقاً كما يقول ويقول أنصاره ؟!

إنها لمفارقة لطيفة ، وإنه لأسلوب من أساليب الدعاية الاستعمارية خبرناه من قبل ، ووقفنا على اتجاهاته وأهدافه ، فما نال أبناء الشرق العربي من ضر مثل ما نالهم على يد أولئك الأصدقاء الأعداء الذين يتطوعون للدفاع عنا ويذرفون الدموع السخينة لحالنا وما هي إلا دموع التماسيح ، ولكن عذر هؤلاء أن هذا الأسلوب لا يزال يجوز على ضعاف العقول من أبناء هذا الشرق الذين تأخذ بلبهم ظواهر الأمور .

إنجليزي يدافع عن العرب عند الإنجليز ؟! معلوم !! معلوم ويا له من منطق مفهوم !!

## هل هذا صحيح :

كانت كلية الآداب الفرنسية في لبنان قد وجهت الدعوة إلى الدكتور عبد الرحمن بدوي المدرس بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول إلى إلقاء سلسلة من المحاضرات الفلسفية هناك فلبى الدعوة ، ويقولون إنه قد قوبل بالحفاوة والترحيب وإن محاضراته قد قوبلت كذلك بالاعتبار والتقدير .

ولكني طالعت في العدد الأخير من مجلة « المعهد » التي تصدر في جنوب لبنان حديثاً جرى بين محرر تلك المجلة وبين الأستاذ البير عمون صاحب مجلة « الأديب » عرضا فيه لهذه المسألة . فقال الأستاذ عمون — والمعهد على راوي الحديث — « إن دعوة الفرنسيين للدكتور عبد الرحمن بدوي لإلقاء هذه المحاضرات ليست إلا إحدى مناوراتهم ومثالا لأساليبهم التي يخدمون بها مركزهم ويجلبون الناس إليهم ، ولم يأب الدكتور بدوي الدعوة إلا لأن مركزه كأستاذ في الجامعة المصرية يكاد أن يكون مضطرباً في المدة الأخيرة ، وذلك على أثر مذهب فيه شيء من الإباحية كان الدكتور قد دعا إليه في أحد كتبه ، فأثار نقمة أولياء الأمر في مصر ، وبخاصة أوساط الأزهر ، ولا يستبعد أن يرى الدكتور هذه الدعوة بمثابة تأييد لمركزه ، وهي من كلية في لبنان بلد العلم والثقافة » .

هذا ما جاء في ذلك الحديث بنصه وبحروفه ، وأنا رجل شديد الغيرة على أبناء وطني ، وظني بهم أباة يترفعون عن أن يكونوا صنيعة لأية دولة مهما عظمت ، وإن هذه الغيرة لتدفعني إلى سؤال الأستاذ بدوي : هل هذا صحيح ؟ !

« الحامظ »

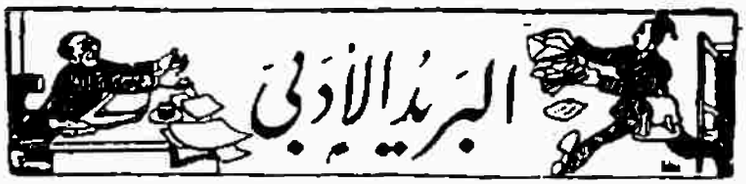


### واحة الكفرة :

جاء فى ( أخبار اليوم ) العدد ( ١٢٩ ) أن الذى اكتشف واحة الكفرة هو أحمد حسنين باشا رحمه الله ، والباشا رجل أجمعت القلوب على محبته وتجلته ، ولكن الحق يذكر ، وذلك أن أول من زار واحة الكفرة من غير السنوسيين هو صادق باشا العظم رحمه الله أرسله إليها السلطان عبد الحميد موفداً إلى الشيخ المهدى السنوسى الكبير سنة ١٨٨٤ ولم يصل إليها رسول قبله ، وقد وضع عن رحلته تلك كتاباً باللغة التركية ترجمه إلى العربية جميل بك العظم رحمه الله ، وقد أوفده بعد ذلك إلى نجاشى الحبشة منلك سنة ١٩٠٦ ووضع عن رحلته الحبشية كتاباً ترجمه رفيق بك العظم رحمه الله ، ودلة حقى بك العظم رئيس وزراء سورية سابقاً ، وعنه روينا هذا الحديث ، والرحلتان مطبوعتان بالعربية .

( قارىء )

### خطأ عروضى :

اطلعت فى عدد الأهرام بتاريخ ١٩ فبراير سنة ١٩٤٧ على قصيدة للأستاذ الشاعر محمد الأسمر فى ذكرى وفاة المرحوم أحمد حسنين باشا مطلعها :

أعام مضى أم تلك أحلام حالم ... وذكرى الكريم الحرأم وهم واهم!

قال فيها :

وعدت لنا من حفرة ومجاهل ... ومن عالم تحت الثرى أى عالم !

فوقع فى خطأ عروضى هو « سناد الإشباع » ، وذلك بتغييره حركة الحرف الدخيل بعد ألف التأسيس من خفض فى جميع الأبيات إلى فتح هنا فى هذا البيت الأخير ، وهو خطأ تواضع العروضيون على عدم استعماله أو الوقوع فيه

هذا ، والقصيدة المترعة بالذكريات واللوعات ، لا ينقص من قيمتها هنة من تلكم الهنات . والسلام

عرنانه أسمر

### فى اللغة :

كتب بعضهم فى الرسالة الغراء : ( انطلت عليه الحيلة ) يريد جازت عليه . وأظن أن هذا التعبير أول ما دخل عن طريق الترجمة . فليت من يدل على تعبير قديم بهذا اللفظ

ويقولون :(حديث طلى) ، والطلّ كغنى الصغير من أولاد الغنم جمعه طلبان كرغفان ( القاموس ) . وأما الحسن المعجب فهو الطل ( القاموس أيضاً )

فلسطينى

### طباق قلعة القاهرة :

كان الأستاذ أحمد رمزى بك أورد فى « الأهرام » نص السخاوى فى كتابه (الضوء اللامع فى تاريخ القرن التاسع ) عن سكن ناصر الدين محمد جقمق « بالنور بالقلعة » وقال : هل هناك مكان معلوم للقدماء بالقلعة كان يطلق عليه اسم « النور » ؟

نعم ، كان فى القلعة اثنتا عشرة طبقة ، فى كل طبقة نحو ألف ممن يتلقون دروس التدريب على الجندية والحرب ، مع بعض علوم الشريعة والعلوم المصرية ، ومن هذه الطباق طبقة قائمة على أرض منخفضة ، فسميت « طبقة النور » . وفى « الضوء اللامع » يذكر كثيراً من هذه الطباق كطبقة الرفرف وطبقة الزمام وغيرها .

وهذه الطباق كانت أكبر مدرسة حربية نعرفها فى التاريخ وأقدمها ، وقد تخرج منها آلاف من الضباط والقواد والأمراء ، بل الملوك . ولو جمعت أخبار هذه الجامعة الحربية لجاءت فى كتاب حافل .

وفى خطط المقريزى ، وزبدة كشف الممالك لخليل بن شاهين الظاهرى ( المطبوع فى أوربة ) مفصل القول على هذه الطباق ونظامها ، وفى در الحبب فى تاريخ حلب لابن الحنبلى بحث عن صلة السلطان النورى بطبقة النور ، ونسبته إليها ، وأنها بفتح النون ، وفى (شذرات الذهب فى أخبار من ذهب) شىء من هذا

وكان فى المكتبة التيمورية خزانة خاصة لكتب الفروسية والرمى وآلات الحرب ؛ ألف الكثير منها فى عهد المماليك ، وكان كثير منها يدرس فى طباق القلعة .

محمد عبد الوهاب فايد

## حول ( اكتبوا للأطفال ) :

اطلعت فى مجلتكم الزاهرة على كلمة الأديب محمد سيد كيلانى ( اكتبوا للأطفال ) ومع تقديرى لاهتمامه بهذا العنصر الهام من عناصر نهضتنا العربية وتدوينه جهود الغربيين فيه آخذ عليه قوله بالحرف الواحد « أما فى الشرق فلم يعن أحد بالاتجاه فى هذه الناحية ... الخ » .

إذ قد قام المرسلون الأميركيون فى بيروت ما بين ١٨٨٥ و١٨٩٠ بترجمة وطبع كتب كثيرة للأطفال باللغة العربية مثل حكاية روبنصون كروزو وغيرها من القصص الأدبية الأخلاقية ( التى لا صلة لها بالدين ) مكتوبة بأقلام كبار أدباء سوريا ولبنان يومئذ وموضوعاتها لذيذة وأساليبها شيقة تستهوى عقول الأحداث والأطفال وهى مزينة بالصور الجذابة ، بل أذكر أننى كنت أقرأها وأنا طفل بين العاشرة والخامسة عشرة بشغف وسرور ، وكان لدى العشرات منها وكانت جميعها مطبوعة طبعاً أنيقاً (وأحياناً مشكولة) فى مطبعة الأميركان فى بيروت ولعل الأديب الكيلانى يعثر فى مكتبة خاصة أو فى مكاتب بيروت على نسخ منها .

ثم إن كاتب هذه السطور ( ولا فخر ) أصدر مجلته الأسبوعية « مجلة الأولاد » فى ١٥ فبراير سنة ١٩٢٣ وظل يصدرها أسبوعياً حتى ١٢ مارس سنة ١٩٣١ وكان يتراوح ما يطبع منها فى مطبعة اللطائف المصورة بين ١٤ و١٦ ألفاً وكانت طافحة بالرسوم المضحكة التى تسر الأطفال وتقر عيونهم وتكتب شروحها باللغة العامية المسجعة وفى أواخر سنيها كان يكتب فيها بلغة صحيحة بسيطة وأضيف إليها معلومات علمية طبيعية وألعاب للتسلية ومسابقات ولم نوقفها إلا لأسباب فنية قاهرة ، وكانت معظم رسومها شرقية مصرية وبعد أن أوقفناها سعى الكثيرون من الأدباء والأديبات إلى إنشاء مجلات للأطفال والأولاد على غرار مجلة الأولاد ولكن أغلبها لم يقو على مكافحة الأزمات ، وكانت آخر محاولة من الأستاذة إجلال حافظ ومجلات أخرى أظن أنها ما زالت تصدر وأذكر أن مجلة الأسبوع الزاهرة وبعض الصحف بدأت بنشر مواد مصورة للأطفال .

اسكندر ميخائيل

## تعليق وتعقيب :

١ — اذكر موضوعى حول « طيزناباذ » أديبة فلسطين فدوى طوقان بقصة صاحبة الفن علية بنت المهدى أخت الرشيد ، وأقامتها بطيزناباد بعد منصرفها من الحج ، وهى التفاتة ظريفة من الأديبة الفاضلة أذكرتنى أيضاً بما يشبه هذا الخبر من قصة حج أبى نواس الذى رواه نسليمان بن نوبخت عندما أراد الحج فاستصحب أبا نواس بعد نفار منه وامتناع . لكن « راهب الكاس » اشترط على سليمان أن يتقدما الحاج إلى القادسية ، ثم يعرجا « قليلا » على طيزناباذ ، ريثما يصل الحاج فعلا .

وكان فى طيزناباذ خمار ظريف ، لطيف الآلة ، يمتق الشراب اسمه «سرجيس» له ذكاء وفطنة فى المنادمة ، فشرب أبو نواس هو وصديقه سليمان ، ثم استيقظ ليصطبح « على عادته » فأنشد :

وخمار أتحت إليه ليلاً ... قلائص قد ونين من السفار
فجم والكرى فى مقلتيه ... كخمور شكا ألم الخمار :
أبن لى كيف صرت إلى حريمى ... وجفن الليل مكتحل بقار ؟
فقلت له : ترفق بى فإنى ... رأيت الصبح من خلل الديار
فكان جوابه أنْ قال : صبحٌ ... ولا ضوء سوى ضوء العقار !
وقام إلى العقار فسد فاها ... فعاد الليل مسود الازار
وشك بزالها فى قعر دن ... عفرة الجوانب والقرار
مصورة بصورة جند كسرى ... وكسرى فى قرار الطرجهار
وجل الجند تحت ركاب كسرى ... باعمدة واقبية قصار

ثم جلس يشرب مع سليمان ، وبقيا يصلون الليل بالنهار فى اصطباح واغتباق ، حتى ورد عليهما أوائل الحاج قد حجوا وعادوا فرحلا معهم إلى بغداد على أنهما كانا حجاجاً معهم . .

أما الآثار التى كانت شاخصة على عهد ياقوت والعمرى والشابشتى فقد كانت تسمى فى ذلك الحين « قباب أبى نواس ».

٢ — ومما فاتنى ذكره عن قطربل إن حاناتها اختصت بالنظافة وحسن الصفة ، والتألق فى الآلة ، كما امتاز سقاتها وباعتها بالفطنة واللباقة والظرف ، ونظافة المنازل والدنان.

واشتهرت قطربل بالمشمش حتى ذكره البحترى فى شعره قائلاً :

شربت مشمش قطربل وجرعتنا دقل الدسكره (١)
إذا حُبَّ فى الكاس مسوده فكف النديم لها محبره

وكان ينزل هذه القرية الأعراب الذى يفدون على بغداد من البادية ، وكانت لغتهم فصيحة لم تشبها شوائب اللحن ، وفى القصة الزنبورية خير شاهد على ذلك . فقد نُقل عن الاصمعى أن هؤلاء الأعراب كانوا ينزلون بقطربل ، وأن الكسائى لما ناظر سيبويه استشهد بلغتهم عليه ، وفى ذلك يقول أبو محمد اليزيدى :

كنا نقيس النحو فيما مضى على لسان العرب الأول
فجاء أقوام يقيسونه على لغى اشياخ قطربل
إن الكسائى وأصحابه يرقون فى النحو إلى أسفل !

أما موقع قطربل بالنسبة إلى جغرافية العراق الحالية ، فقد قال صديقنا مصطفى جواد تعقيباً على ما كتبناه فى الرسالة فى العدد ٧٠٤ بكلمته المنشورة بجريدة العراق عدد ٢٣/٩/٤٩ بأنها « فوق الكاظمية بكيلو مترات قليلة مقابل بستان كاظم باشا من الغرب » ويظن أنها « كانت فى الموضع المعروف — اليوم — بالتاجى »

( بغداد ) شكرى محمد

(١) ابن المعتز فصول التماثيل فى تباشير السرور ص ١٤

## النهضة الأدبية فى طرابلس :

منذ زوال الحكم الإيطالى الغاشم عن أرض ليبيا العزيزة « طرابلس وبرقة » والنهضة الأدبية تسير بخطوات ثابتة سريعة بصورة تدعو إلى التقدير والإعجاب .

فهنالك فى كل من مدينة درنه وبنغازى عاصمة برقة التجارية وطرابلس فى جميع هذه المدن قد انتشرت الجمعيات الثقافية والندوات الأدبية التى تتلخص رسالتها فى نشر الأدب العربى وبث روح الثقافة العربية بين جميع المواطنين .

وقد كتب المواطن الفاضل الأديب « صلاح الدين بن موسى » مقالا قيما فى الرسالة ( ٧١٠ ) تحت عنوان « الحياة الأدبية فى طرابلس الغرب بين الماضى والحاضر » ولكن فاته أن يذكر فيه كلا من الشاعرين المعاصرين الأستاذ أحمد الشارف شاعر طرابلس والأستاذ أحمد رفيق المهدوى شاعر برقة وهما بحق علمان من أعلام الشعر والأدب فى طرابلس الغرب :

ولقد اطلع أستاذنا العقاد على شىء من شعر الأستاذ رفيق فنال إعجابه وتقديره .

( القاهرة ) فرج بن جليل

## بطل الريف :

اطلعت فى العدد ٧١١ من « الرسالة » على قصيدة أو بالأصح « مزدوجة » للأستاذ « أبو الوفاء » محمود رمزى نظيم فيها :

واخترعوا فخّروا ألبابنا وملكوا بسعيهم زِمامنا
كيف نقول ما لهم وما لنا إذا استغل علمهم خولنا

« والمزدوجة » كما ترى مؤسسة بألف التأسيس فى الأشطر الثلاثة الأولى إلا فى الشطر الرابع فقد غيّر من التأسيس إلى الردف وهو حرف الواو ، وذلك ما نص العروضيون وتواضعوا على خطئه وعدم جواز استعماله .

وهى هنة هينة والسلام .

( الزيتون ) عمر ناصر أسعد

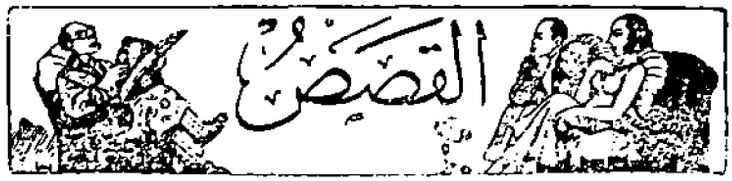


أسطورة من الأدب الروسى :

# الخـــير والشر ...!

## للكاتب الفيلسوف ليو تولستوى

[ مهداة إلى أستاذنا الفاضل محمود الخفيف ]

بقلم الأســـتاذ مصطفى جميل مرسي

[ من الهدى والتوفيق أن تنقل هذه القصة الرفيعة إلى العربية فى الحين الذى يقوم فيه الأديب الكبير الأستاذ محمود الخفيف بترجمة رائعة لحياة ذلك الفيلسوف الذى ذاعت شهرته الأدبية وشاعت عبقريته الفلسفية فى جميع أنحاء العالم، وترجمت كتاباته وقصصه إلى معظم اللغات فى مختلف البلدان ... وقد سبق لنا أن قدمناه إلى قراء « الرسالة الغراء » فى قصة « الملاك » التى نشرناها تباعاً على صفحاتها فى شهر أغسطس سنة ١٩٤٦

وفى هذه القصة التى تتنازعها عوامل الخير والشر ، وتضطرب فيها دوافع الحق والباطل ... نلتقى بعبقرية تولستوى الفذة وعقله الجبار فى خير ما سطره يراعه فى تمجيد الفضيلة ورفعتها ! فهو يجلو لنا فى ثنايا هذه القصة صفحة بارعة من الحلم والتسامح والعفو وضبط النفس التى تنزع بالمرء إلى ركوب متن الشطط والغى ... وقد رأينا أنه من الأفضل أن نتناول عنوان هذه القصة بالإيجاز والتحوير لطوله ... فهو فى الأصل الذى نقلنا عنه « Evil allures, but good endures »] .

« م . جميل »

---

حدث فى الأيام التى خلت وطوتها صفحات الدهر منذ القدم ... أن كان ثمت رجل رضى النفس طيب القلب جليل الشأن عظيم القدر ... أقبلت عليه الدنيا وأتاحت له وفراً فى ماله فملك الضياع والديار ... وراح يعيش فى ثراء ورغد ، ومن حوله جمع من العبيد يقومون على خدمته ويتولون قضاء حاجته . وقد بثهم سيدهم من الود وأخلص لهم من العطف ما جعل أفئدتهم تخفق بحبه وألسنتهم تلهج بحمده . !

وراحوا يتيهون بسيدهم فخراً وزهواً ، ويغبطون أنفسهم على هذا الفضل وهذه النعمة ويعربون لجيرتهم عن مبلغ هنائهم قائلين :

« لم تطلع الشمس على من يضاهى سيدنا فى طيبته ورقة عاطفته ... فهو يطعمنا إذا ما أدركنا الجوع ، ويخلع علينا من الثياب كل طريف ومن الأبراد كل جميل ، ويهيىء لنا أعمالا تتفق ومقدرتنا وقوتنا ... وما تلفظت شفتاه يوماً بكلمة سوء يرمينا بها ولا بيت لنا حقداً ولا ضغناً .. فما هو كالسادة الآخرين الذين يذيقون عبيدهم هول العذاب ويقسون فى عقابهم سواء أحق عليهم أم لم يحق . ! ولا يحنون عليهم بكلمة عطف ولا يواسونهم إذا ما مسهم الضر ... أما سيدنا فقد وهبه الله قلباً يتمنى لنا الخير ونفساً ترجو لنا السعادة ... نحن لا نأمل فى حياة أهنأ ولا أرغد من هذه . ! » .

فضاق الشيطان ذرعاً بذلك الحب والود الذى يكنه العبيد لسيدهم ، فعمد إلى واحد منهم يدعى « ألب » فسخره ليوغر صدورهم ويشيع بينهم الفتنة والعصيان ويسرب إليهم الفساد ...

وبينما هم جلوس ذات يوم يتناقلون حديث العطف والكرم الذى يسبغه عليهم سيدهم ويحوطهم بفضله ... رفع «ألب» صوته قائلا فى خبث ودهاء : « إن من الغباء والحمق أن تفرق سيدنا بهذا الحمد ونحيطه بتلك الهالة من المديح ... وهو لا يستحقها . فالشيطان قدير وكفيل بأن يكون كيساً رقيق الحاشية معكم إذا ما أديتم له كل ما يروم ! . فنحن نخدم سيدنا فى وفاء وإخلاص ونحقق له كل ما يساور نفسه ويراود فؤاده من بغيات ... فما الذى يسعه سوى أن يكون رحيماً كريماً منا ؟! . دعونا نحاول أن ندفع إليه ضرراً ما ثم ننظر ما يكون من جلية أمره ... وإنى لعلى يقين من أنه لا يفضل أقرانه السادة . فلسوف يلقى إساءتكم بمثلها بل بأشد منها ... » .

فانطلق بقية العبيد ينكرون هذا القول ، ويدرأون الشبهات عن سيدهم وولى نعمتهم ... بيد أنهم ما لبثوا أن عقدوا فيما بينهم رهناً مع « ألب » الذى أخذ على عاتقه أن يثير حفيظة سيده

ويلهب غضبه ... وقد تعهدوا بأن يدفعوا إليه بالثياب التي يحرمه منها سيده ، ويقوموا مدافعين عنه أمامه أو يعمدوا إلى إطلاق سراحه إن حبس أو غل بالقيد !.

كان «ألب» راعياً مسئولا عن فوز من الغنم النادرة الغالية التي يعتز بها سيده ...

وفي اليوم التالي حينما أقبل سيده في صحبة من أضيافه ليريهم ويمتع ناظرهم بتلك الأغنام الكريمة ... غمز « ألب » بحاجبه رفاقه وكأنه يقول لهم « انظروا الآن إلى أي حد سأثير غضبه وحنقه ! . » .

وتجمّع العبيد يمدون طرفهم من فوق سياج المرعى! وتسلق « الشيطان » شجرة سامقة حيث استقر فوقها وراح يرقب ما سوف يعمله « ألب » خادمه ورسوله . !

وتهادى السيد مع صحبه يعرض عليهم شياهه وحملانه ... وانثنى يقول لهم وقد رنّ في صوته جرس الإعجاب والزهو: « إنها جميعاً كريمة نادرة ، ولكن بينها كبشاً أصوف أعقص القرن — لا يقدر بمال — أعتز به كما أعتز بعقلي ! . » .

وشاع الاضطراب بين حشد الأغنام ، فانطلقت تعدو إلى جهة أخرى من المرعى ، فلم تهز الزائرين سانحة لرؤية ذلك الكبش الذي نوه صاحبه بجلال قيمته وعظم شأنه ...

ولم تكد تستقر الشياه في مكانها حتى أثارها « ألب » من جديد فعادت تجري إلى كنف آخر ، وهي تضطرب فيما بينها ، وفوّت على الزائرين نهزة اجتلائها وتبيّن الكبش . . فلم يجد السيد بداً — وقد أدركه العناء وبرح به الإعياء — من أن يدعو « ألب » قائلا : « أرجوك أن تحول بين ذلك الكبش الأعقص القرنين وبين الهرب وأمسك به معتنياً حتى تتاح لنا رؤيته » !

ما كاد السيد يقول ذلك ، حتى انطلق « ألب » بين الشياه كالأسد الذي يسعى بين رعيل من الظباء ! . وقبض على صوفة الكبش في عجلة وتناول رجلا من أرجله فلواها في شدة حتى تهشمت عظامها وصارت له قعقعة الضعن اليابس حينما يطؤه الإنسان . . لقد حطم ساقه وجعله يخر على الأرض وهو يثاج ويئن في ألم . .

ثم لم يلبث « ألب » أن أمسك برجل أخرى وحاول أن يلحق بها ما أصاب صاحبتها !

فصاح الزائرون في جزع ، وهتف العبيد في هيمة وفزع . وطرب الشيطان وهو قابع في مكانه على الشجرة ، وهلل فرحاً لما رأى من نجاح خادمه وهو يسعى لإثارة سيده ! وتقطّب جبين السيد وعلتْه كآبة سوداء تنذر بعاصفة هوجاء ، وزمهرت عيناه وقد انقد فيهما لهيب الغضب والحنق والسخط . . وقد كاد أن ينشق من الغيظ . . بيد أنه طامطأ برأسه ولم ينبس ببنت شفه . .

ران الصمت — ولكنه صمت رهيب — على الأضياف وعلى العبيد وقد تعلقت أنفاسهم يترقبون ما سوف يتمخض عن هذه الجناية على الكبش الكين الذي لا يُلفى له نظير !

وبعد هنيهة من السكون ، هز السيد كتفيه وكأنه قد تخلص من حمل ثقيل كان يجثم على قلبه ... ثم لم يلبث طويلا حتى رفع رأسه ومد بصره إلى الأفق البعيد مستغرقا في فكره لا يريم . !

وبغتة . ! غاب التقطب عن صفحة جبينه وانفرجت أسارير وجهه وهدأت نفسه وقد عصف بها الاضطراب ... ونظر إلى « ألب » في عطف وعلى ثغره ابتسامة عذبة ... وقال في صوت رقيق شاعت فيه الوداعة والطمأنينة :

« إيه ... يا ألب ... لقد أغواك صاحبك الشيطان بإثارة غضبي ولكني سوف أخيّب مسعاه وأثير غضبه هو ... فلست بحانق عليك ولا ساخط منك ... إنك لتخشى عقابي وتداعب نفسك أمل في أن أعتق رقبتك ! . فاعلم - إذن — أني لن أمسّك بسوء ، كما أني — أمام هؤلاء الأضياف وتحت سمعهم وبصرهم — أطلق حريتك ... فاذهب أينما شئت ... فأنت حر من هذا اليوم . ولك أن تحمل معك ما تود من ملبس وطعام . »

* * *

وانثنى السيد عائداً مع رفقته إلى داره في هدوء وبشر أما الشيطان — وقد باء مسعاه بالخسران المبين — فقد هوى من فوق الشجرة ... وغار في الأرض ...

(القاهرة) مصطفى جميل مرسي

# سكك حديد الحكومة المصرية

## جداول مواعيد القطارات لفصل الصيف سنة ١٩٤٧

لقد شرعت المصلحة فى إصدار طبعة الصيف المقبلة من جداول مواعيد القطارات المتداولة بين آلاف الجماهير وذلك اعتباراً من أول مايو سنة ١٩٤٧ .

وفضلا عن أهمية الاعلان فى الجداول المذكورة فإن المصلحة تتقاضى مقابل النشر فيها أجراً زهيداً فالصفحة الكاملة بستة جنيهات ونصف الصفحة بأربعة جنيهات .

فاغتنموا الفرصة وسارعوا من الآن إلى حجز ما يروقكم من صفحات هذه الجداول نظراً إلى أن الأقبال على الاعلان فيها شديد .

ولزيادة الاستعلام اتصلوا :

## بقسم النشر والاعلانات

بالادارة العامة محطة مصر

مطبعة الرسالة